PIETERSE DAVISON
INTERNATIONAL Ltd
microfilm service
Chester Beatty
Library
MS

5 cm

3957

AL-SHIHĀB FI 'L-SHAIB WA'L-SHABĀB, by AL-SHARĪF AL-MURTAḌĀ (d. 436/1044).

[Quotations from the poets on the topic of old age.]

Foll. 96. 23·5 × 15·7 cm. Clear scholar's naskh.

Undated, 6/12th century.

Brockelmann i. 405, Suppl. i. 705.

J:155
MS 3957
3957

٨٦

الشهاب

في الشيب والشباب من املا المرتضى

ابي القسم الموسوي رحمه الله

الكتاب

ان هذه النسخة الشريفة في عهد [illegible]
مؤلف الكتاب وترتيب الخطاب
ان هذا الكتاب الشريف ليس باد [illegible]
والبلاغة من كتاب دلايل الاعجاز واسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني
ومن كتاب الصناعتين للعسكري في التحويل الكن متفوق بها منكرا من القول
وزورا ولما قيل شتان بين مشرق ومغرب اذا الذوق السليم بصير
شاهد عدل ولا ينبئك مثل خبير

وعائبة في فني الفصاحة
بالصواب والله
[illegible] اعلم

al-Shih [illegible]
Br [illegible]

3957

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على جزيل عطائه وجميل بلائه وله الشكر على ما منح
من هدايته ونجح من كفايته وصلى الله على سيد البشر
محمد وآله الغرر وسلم وكرر سألت وفقك الله أن أجمع
لك من مختار الشعر في الشيب ما تناله القدرة وينتهي إليه
الخبرة إذ كان الناس قد جمعوا في ذلك الكثير من غث ومن
سمين وكريم وهجين وأنا أجيب مسألتك وأنجح طلبتك
واعلم أن الإغراق في وصف الشيب والإكثار في
معانيه واستيفاء القول فيه لا يكاد يوجد في الشعر
مما ورد له فيه الفقرة بعد الفقرة فكانت
[illegible] أطنب في أوصافه واستخراج غاياته
[illegible] مراء المحدثون وإن كان الإحسان
[illegible] والجيد من كل شيء نزرا معدودا وللفحلين

المبرزين الطائيين أبي تمام وأبي عبادة البحتري في هذا
المعنى ما يعبر في الوجوه سبقا لا سيما البحتري فإنه
مولع بالقول في الشيب لهج به معيد مبدئ لأوصافه لا
تكاد أكثر قصائده تخلوا من الإلمام به والتعرض له
فقد زاد فيه على كل متقدم لزمانه إكثارا وتجويدا وتحقيقا
وتدقيقا فإني أخرجت له في الشيب مائة وأربعين بيتا ١٤١
لكنها مملوءة إحسانا وتجويدا ووجدت في شعر أخي رضي الله عنه
وأرضاه وكرم مثواه في الشيب شيئا كثيرا في غاية
الجودة والبراعة رأيت أيضا بعد ذكر ما للطائيين ذكره
كله لكثرة الإحسان فيه والغوص إلى لطيف المعاني وقد
أخرجت من ديوانه مائتين ونيفا وسبعين بيتا من تأملها
وجد الحسن فيها غزيرا والتجويد كثيرا وأنا أضم إلى ذلك
وأجمع به ما أخرجته من ديوان شعري في هذا المعنى فإنه

بنيف على ثلثمائة بيت الى وقتنا هذا وهو ذو الحجة من
سنة تسع عشرة واربع مائة وربما امتد العمر ووقع
نشاط مستقبل لنظم الشعر فاتفق فيه من ذكر الشيب
ما يزيد في عدد هذا المذكور المسطور فاما الاحسان
والتجويد مع هذا الاكثار الذي قد زاد على المكثرين في
اوصاف الشيب فمما تخرجه الاختبار ويبرزه الاعتبار
ويشهد منتقده فيه او تاخر ضم قول الى نظيره ومعنى الى
عديله واطراح التقليد والعصبية وتفضيل ما فضله
السبك والنقد من غير احتشام حتى يصدع به ولا
يكشف عنه ولا محاباة لمتقدم بالزمان على متاخر فما المتقدم
الا من قدمه احسانه لا زمانه وفضله لا اصله وقد
قلت في بعض ما نظمته   والسبق للاحسان لا الازمان
وبايضاح ما اخرجته من هذه الدواوين الاربعة يجمع لك

محاسن القول في الشيب والتصرف في فنون اوصافه
وضروب معانيه حتى لا يشذ عنها في هذا الباب شيء
يعبا به هذا حكم المعاني فاما بلاغة العبارة عنها وجلاؤها
في المعاريض الواصلة الى القلوب بلا حجاب والانتقال
في المعنى الواحد من عبارة الى غيرها مما يزيد عليها براعة
وبلاغة وحسنا وبهاء او ينقص عنها حتى يصير المعنى باختلاف
العبارة عنه وتغير الهيئات عليه وان كان واحدا كانه
مختلف في نفسه فهو وقف على هذه الدواوين مسلم
لها مفوض اليها مع الانصاف الذي هو العمدة والعقدة
في كل دين ودنيا واخرة واولى وان شئت ان تختصر
لنفسك وتقتصر على احد هذه الدواوين استغنيا به في
هذا المعنى عما سواه ولاحتوائه على ما في غيره فانت عند
تاملها وانسك بكل واحد منها وعلمك ما اشتمل

بينها والانفراد والاجتماع والافتراق لتعرف على ايهما
نقتصر وبايهما نستغني عما سواه ۝ واعلم ان الشيب
قد يمدح ويذم على الجملة ثم يتنوع مدحه الى فنون فيمدح
بان فيه الجلالة والوقار والتجارب والحنكة وانه يعرف
عن الفواحش ويصد عن القبائح ويعظ من نزل به فيقلل
الى الهوى طماحه وفي الغي جماحه وان العمر به اطول
والمهل معه افسح وان لونه انصع الالوان واشرفها
وما جرى مجرى ما ذكرناه والمذموم منه كثير ومن
يذمه فانما يذمه بانه رائد الموت ونذيره وانه يوهن القوة
ويضعف المنة ويطمع في صاحبه وان النساء يصددن
عنه ويعيرنه به وينفرن عن جانبه وربما شكي منه نزوله
في غير زمانه ووفوده قبل ابانه وانه بذلك ظالم جائر وما
اشبه ذلك ومما يدخل في هذا الباب مدح الشباب

واطراء السواد وذكر منافعهما وفوائدهما
ومرافقهما وتعلق باوصاف الشيب ذكر الخضاب
اما بمدح او ذم وفنون مدحه او ذمه كثيرة وقد ذكرنا نحن
مقام الخضاب في ازالة شخص الشيب عن المنظرة من مفارقه
او غيره وسيجيء من هذه المعاني فيما نورده من الدواوين
الاربعة ما ستقف عليه في مواضعه وتعلم حسن مواقعه
وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب

قال ابو تمام حبيب بن اوس الطائي وهو ابتدا قصيدة

نَسَجَ المَشيبُ لهُ لِفاعاً مُغدَفاً يَقَقاً فقنَّعَ مِذْرَوَيْه ونَصَّفا
نَظَرَ الزمانُ اليه قطَّعَ دونَهُ نَظَرَ الشفيقِ تحسُّراً وتلهُّفا
ما اسودَّ حتى ابيضَّ كالكرمِ الذي لم يأنِ حتى جِيءَ كيما يُقطَفا
لما تفوَّفتِ الخطوبُ سوادَهُ ببياضِها عبثت به فتفوَّفا
ما كادَ يَخطُرُ قبلَ ذا في فكرِهِ في البدرِ قبلَ تمامِهِ ان يُكسَفا

٤ ابو القاسم الآمدي، الكتاب الموازنة
بين الطائيين

ووجدت ابا القسم الآمدي يذكر في كتابه المعروف بالموازنة بين الطائيين في البيت الاول من هذه الابيات شيئا انا اذكره وابين ما فيه قال معنى قوله نصفا اي قنع جانبي راسه حتى بلغ النصف منه قال وقد قيل انما اراد بقوله نصفا النصف وهو قناع لطيف يكون مثل نصف القناع الكبير وقد ذكره النابغة فقال

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه

ثم قال وذلك لا وجه له لتردد القناع وانما اراد ابو تمام ما اراده الآخر بقوله

اصبح الشيب في المفارق شاعا واكتسى الراس من مشيب قناعا

قال فالمعنى بقوله قنع مذروبه وقوله نصفا اي بلغ نصف راسه وهذا الذي ذكره الآمدي غير صحيح لانه لا يجوز ان يريد بقوله نصفا انه بلغ نصف راسه لانه قد سماه لفاعا واللفاع ما

اشتمل به المتلفع فغطا جميعه ولانه جعله ايضا مغدفا والمغدف المسبل السابغ التام فهو يصفه بالسبوغ على ما ترى فكيف يصفه مع ذلك بانه بلغ نصف راسه والكلام بغير ما ذكره الآمدي اشبه ويحتمل وجهين احدهما ان يريد بقوله نصفا النصيف الذي هو الخمار والخمار ما ستر الوجه فكانه لما ذكر انه قنع مذروبه وهما جانبا راسه اراد ان يصفه بالتعدي الى شعر وجهه فقال نصفا من النصيف الذي هو الخمار وقد نص اهل اللغة على ذلك في كتبهم وبيت النابغة الذي انشد بعضه شاهد عليه لانه قال سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد وانما اتقت بيدها بان سترت وجهها عن النظر اليه فاقامت يدها مقام الخمار المختص بهذا الموضع والوجه الآخر ان معنى نصفا انه بلغ الخمسين وما قاربها فقد يقال فيمن اسن

ولم يبلغ الهرم انه نصف فان قيل النصف انما يستعمل
في النساء دون الرجال قلنا لا مانع من استعماله فيهما ولو
على سبيل الاستعارة في الرجال فقد يستعير الشعراء
ما هو ابعد من ذلك على هذا الوجه يكون قوله نقفا راجعا
الى الذي لشيب والى من كني عنه بالهاء في قوله ولا
يكون راجعا الى الشيب نفسه ۵ ورأيت الآمدي
يسرف في استرذال قوله لم يات حتى جي كما عطف
ولعمري انه لفظ غير مطبوع وفيه ادنى ثقل ومثل ذلك
يغتفر لما لا يزال يتوالى من احسانه ويترادف من تجويده
ووجدته ايضا يذم غاية الذم البيت الاخر الذي اوله

ما كان يخطر قبل ذا في فكره   ويصفه بغاية

الاضطراب والاختلال وليس الامر على ما ظنه فان البيت
جيد المعنى وانما ليس رونق الطبع فيه ظاهرا وليس ذلك
بعيب ۵

وله وهو من ابتدا قصيدة

يضحكن من اسف الشباب المدبر   يبكين من ضحكات شيب مقمر

ووجدت ابا القسم الآمدي يغلو في ذم هذا البيت وقال هذا
بيت ردي وما سمعت بضحك من الاسف الا في هذا البيت
قال وكانه اراد قول الاخر   وشر الشدايد ما يضحك
فلم يهتد لمثل هذا الصواب ۵ قال وقوله من ضحكات
شيب مقمر ليس بالجيد ايضا ولو كان ذكر الليل على الاستعارة
لحسن ان يقول مقمر لانه كان يجعل سواد الشعر ليلا
وبياضه بالمشيب اقمارا لان قايلا لو قال فيا قمر لليل داجي
كان من اصح الكلام واحسنه وان لم يذكر الليل ايضا حتى
يقول فيا قمر عارضاك او فوداك لكان حسنا مستقيما
وهو دون الاول في الحسن وذلك انه قد علم انهما كانا
مظلمين فاستنارا ۵ والذي يقوله ان قول ابي تمام يضحكن

من أسف الشباب المدبر يحتمل أن يكون المراد به أن النساء
اللواتي يرين بكاء عشائقهن وأسفهن على الشباب المدبر
يهزأن بهم ويضحكن منهم ومثل هذا يرد في الشعر كثيراً
فأما قوله يبكين من ضحكات شيب مقمر فالأولى أن يحمل
على أن المراد به أنهن يبكين من طلوع الشيب في مفارقهن
وضحكه في رؤوسهن لأنا لو حملناه على شيب عشائقهن
لأن الذي يبكين منه هو الذي يهزأن به وهذا تناف وكأنه
وصفهن بأنهن يضحكن ويهزأن من شيء في غيرهن ويبكين منه
لعينه إذا خصهن فأما حمل الضحك هاهنا على معنى البكاء
وغاية الحزن فهو مستبعد وإن كان جائزاً ويكون على
هذا التأويل يضحكن ويبكين بمعنى واحد فأما عيبه لقوله
شيب مقمر ففي غير موضعه وليس يحتاج إلى أن يذكر الليل
على ما ظنه وكما يقال أقمر ليل راسك وأقمر عارضاك

على ما استشهد به كذلك يقال أقمر شيبك ولا يحتاج
إلى ذكر الليل وإنما المعنى أنه أضاء بعد الظلام وانتشر فيه
البياض بعد السواد وليس هذا تتبع من يعرف الشعر
حق معرفته ولعمري إن هذا البيت خال من طبع وحلاوة
وليس إلى الحد الذي ظنه الآمدي

وله من جملة قصيدة

غدا الهم مختطاً بفودي خطةً طريق الردى منها إلى الموت مهيع
هو الزور يجفى والمعاشر يجتوى وذو الإلف يقلى والجديد يرقع
له منظر في العين أبيض ناصع ولكنه في القلب أسود أسفع
وكنا نرجيه على الكره والرضا وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع

والإحسان في هذه الأبيات غير مجحود ولا مدفوع ومعنى أن
الشيب في القلب أسود وإن كان في العين ناصعاً ما يورثه
من الهم والحزن الذي تظلم به القلوب وينكسف أنوارها

ولـه من جملة قصيدة

شعلة في المفارق استودعتني في صميم الفؤاد ثكلاً صميما
تستثير الهموم ما اكتن منها صعدًا وهي تستثير الهموما
غرة مرة الا انما كنت اغرًّا ايام كنت بهيما
دقة في الحياة تدعى جلالاً مثل ما سمي اللديغ سليما
حلمتني زعمتم وأراني قبل هذا التحليم كنت حليما

قال الآمدي واخذ البحتري قوله الا انما كنت اغرًّا ايام
كنت بهيما فقال

عجبت لتفويف القذال وانما تفويفه لو كان غير مفوف

وقد كنا قلنا في مواضع تكلمنا فيها على معاني الشعر
والتشبيه بين نظرا به انه ليس ينبغي لاحد ان يقدم على
ان يقول اخذ فلان الشاعر هذا المعنى من فلان وان كان احدهما
متقدمًا والآخر متاخرًا لانهما ربما تواردا من غير قصد ولا
وقوف من احدهما على ما تقدمه الآخر اليه وانما الانصاف

أن يقال هذا المعنى نظيره هذا المعنى وشبيهه وموافقه
فأما أخذه وسرقه فمما لا سبيل الى العلم به لانهما قد يتواردان اظن
على ما ذكرناه ولم يسمع احدهما بكلام الآخر وربما سمعه
فنسيه وذهب عنه ثم اتفق له مثله من غير قصد ولا يقال انه
اخذه وسرقه اذا لم يقصد الى ذلك وكم بين بيت ابي تمام
وبين بيت البحتري ماخوذًا كان منه او غير ماخوذ في الطبع
وصحة النسج وطلاوة اللفظ فلبيت ابي تمام الفضل الظاهر
الباهر ولبشبه قوله وأراني قبل هذا التحليم كنت حليما

من شعري في الشيب قولي

وقالوا اتاه الشيب بالحلم والحجى فقلت بما يبري بعوق من الحجى
وما سرني حلم يفيء الى الردى كفاني ما قبل المشيب من الحلم

وستجيء هذه الابيات في موضعها بمشيئة الله وله من جملة قصيدة
ألم تر آرام الظباء كانما رأت بي سيد الرمل والصبح ادرع

لئن جزع الوحشي منها لرؤيتي لانسيها من شيب راسي اجزع
ووجدت ابا القسم الامدي يفسر ذلك ويقول اراد بسيد
الرمل الذيب ٥ وقوله والصبح ادرع اي اوله مختلط بسواد
الليل يريد وقت طلوع الفجر وكلما اسود اوله وابيض اخره
فهو ادرع وشاة درعاء التي اسود راسها وعنقها وسايرها
ابيض وانما قال ذلك لان الظباء تخاف الذيب في ذلك الوقت
لان لونه يخفى فيه لغبسته فلا تكاد تراه حتى يخالطها وهو
الوقت الذي تنتشر فيه الظباء وتخرج من كنسها لطلب
المرعى ٥ ونقول ان الذي ذكره الامدي مما يحتمله البيت
والجود منه ان يكون قوله والصبح ادرع عبارة عن شيبه وخبرا
عن بياض بعض شعره وسواد بعض واراد ان النسا اللواتي
يشبهن الظباء ينفرن مني اذا راين شيب راسي كما ينفرن
من ذيب الرمل ثم قال ولئن كان الوحشي جزع من رؤيتي

فالانسي منها من شيب راسي اجزع وان لم يكن المعنى على ما
ذكرناه فلا معنى لقوله ان الظباء التي هي البهائم تنفر
منه كما تنفر من الذيب لانه لا وجه لذلك ولا فايدة فيه ولا
سبب له فالكلام بالمعنى الذي ذكرناه اليق ٥ فان
قال من نصر تاويل الامدي اي معنى لقوله كانما رابني سيد
الرمل لولا انه اراد الظباء البهائم دون النساء المشبهات بهن
وكيف تنفر النساء من الذيب وانما تنفر منه الظباء على
الحقيقة ٥ قلنا النساء تنفر عن الذيب لا محالة كما تنفر
عنه الظباء اللواتي هن الغزلان وربما يهابه الرجال ويفرون
منه اجدر ان تنفر منه النساء الغراير ٥ فان قيل كيف
قال في البيت الثاني
لئن جزع الوحشي منها لرؤيتي لانسيها من شيب راسي اجزع
لولا ان الوحشية قد نفرت منه ووقع ذلك وجزعته في البيت

من أسف الشباب المدبر يحتمل أن يكون المراد به أن النساء
اللواتي يرين بكاء عشاقهن وأسفهن على الشباب المدبر
يهزأن بهم ويضحكن منهم ومثل هذا يرد في الشعر كثيرا.
فأما قوله يبكين من ضحكات شيب مقمر فالأولى أن يحمل
على أن المراد به أنهن يبكين من طلوع الشيب في مفارقهن
وضحكه في رؤوسهن لأنا لو حملناه على شيب عشاقهن
لأن الذي يبكين منه هو الذي يهزأن به وهذا تنافي فكأنه
وصفهن بأنهن يضحكن ويهزأن من شيء في غيرهن ويبكين منه
لعينه إذا خصهن فأما حمل الضحك هاهنا على معنى البكاء
وغاية الحزن فهو مستبعد وإن كان جائزا ويكون على
هذا التأويل يضحك ويبكي بمعنى واحد فأما عيبه لقوله
شيب مقمر ففي غير موضعه وليس يحتاج إلى أن يذكر الليل
على ما ظنه وكما يقال أقمر الليل وأقمر عارضاك

على ما استشهد به كذلك يقال أقمر شيبك ولا يحتاج
إلى ذكر الليل وإنما المعنى أنه أضاء بعد الظلام وانتشر فيه
البياض بعد السواد وليس هذا تتبع من يعرف الشعر
حق معرفته ولعمري إن هذا البيت خال من طبع وطلاوة
وليس إلى الحد الذي ظنه الآمدي   وله من جملة قصيدة

غدا الهم مختطا بفودي خطة ... طريق الردى منها إلى الموت مهيع
هو الزور يجفى والمعاشر يجتوى ... وذو الإلف يقلى والجديد يرقع
له منظر في العين أبيض ناصع ... ولكنه في القلب أسود أسفع
وكنا نرجيه على الكره والرضا ... وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع

والإحسان في هذه الأبيات غير مجحود ولا مدفوع ومعنى أن
الشيب في القلب أسود وإن كان في العين ناصعا ما يورثه
من الهم والحزن الذي تظلم به القلوب وتكسف أنوارها.
وله من جملة قصيدة

مشعلة في المفارق استودعني في صميم الفؤاد ثكلا صميما
تستثير الهموم ما اكتن منها صعدا وهي تستثير الهموما
غرة مرة الا انما كنت اغرا ايام كنت بهيما
دقة في الحياة تدعى جلالا مثل ما سمي اللديغ سليما
حلمتني زعمتم واراني قبل هذا التحليم كنت حليما

قال الآمدي واخذ البحتري قوله   الا انما كنت اغرا ايام
كنت بهيما فقال

عجبت لتفويف القذال وانما تفوفيه لو كان غير مفوف

وقد كنا قلنا في مواضع تكلمنا فيها على معاني الشعر
والتشبيه بين نظرا به انه ليس ينبغي لاحد ان يقدم على
ان يقول اخذ فلان الشاعر هذا المعنى من فلان وان كان احدهما
متقدما والآخر متاخرا لانهما ربما توارادا من غير قصد ولا
وقوف من احدهما على ما تقدمه الآخر اليه وانما الانصاف
ان يقال هذا المعنى نظيره هذا المعنى وشبيهه وموافقه
فاما اخذه وسرقه فمما لا سبيل الى العلم به لانهما قد يتواردان اخذ
على ما ذكرناه ولم يسمع احدهما بكلام الآخر وربما سمعه
فنسيه وذهب عنه ثم اتفق له مثله من غير قصد ولا يقال ايضا
اخذه وسرقه اذا لم يقصد الى ذلك وكم بين بيت ابي تمام
وبين بيت البحتري ماخوذا كان منه او غير ماخوذ في الطبع
وصحة النسج وطلاوة اللفظ فلبيت ابي تمام الفضل الظاهر
الباهر ويشبه قوله   واراني قبل هذا التحليم كنت حليما
من شعري في الشيب قولي

وقالوا اتاه الشيب بالحلم والحجى فقلت بما يمحى ويعفو من الحجى
وما سرني حلم يفيء الى الردى كفاني ما قبل المشيب من الحلم

وستجيء هذه الابيات في موضعها بمشية الله وله من جملة قصيدة
المرتنا آرام الظباء كانما رات بي سيد الرمل والصبح ادرع

لئن جزع الوحشي منها لرؤيتي لانسيها من شيب راسي اجزع

ووجدت ابا العنتم الامدي يفسر ذلك ويقول اراد بسيد الرمل الذيب ۝ وقوله والصبح ادرع اي اوله مختلطا بسواد الليل يريد وقت طلوع الفجر وكلما اسود اوله وابيض اخره فهو ادرع وشاة درعاء التي اسود راسها وعنقها وسايرها ابيض وانما قال ذلك لان الظباء تخاف الذيب في ذلك الوقت لان لونه يخفى فيه لغبسته فلا تكاد تراه حتى يخالطها وهو الوقت الذي تنتشر فيه الظباء وتخرج من كنسها لطلب المرعى ۝ ونقول ان الذي ذكره الامدي مما يحتمله البيت واجود منه ان يكون قوله والصبح ادرع عبارة عن شيبه وخبرا عن بياض بعض شعره وسواد بعض واراد ان النسا اللواتي يشبهن الظباء ينفرن مني اذا راين شيب راسي كما ينفرن من ذيب الرمل ثم قال ولئن كان الوحشي جزع من رؤيتي

فالانسي منها من شيب راسي اجزع وان لم يكن المعنى على ما ذكرناه فلا معنى لقوله ان الظباء التي هي البهائم تنفر منه كما تنفر من الذيب لانه لا وجه لذلك ولا فايدة فيه ولا سبب له فالكلام مع المعنى الذي ذكرناه اليق ۝ فان قال من ينصر تاويل الامدي اي معنى لقوله كانما رابني سيد الرمل لولا انها الظباء البهائم دون النساء المشبهات بهن وكيف تنفر النساء من الذيب وانما تنفر منه الظباء على الحقيقة ۝ قلنا النساء تنفر عن الذيب لا محالة كما تنفر عنه الظباء اللواتي هن الغزلان وما يهابه الرجال ويفزعون منه اجدر ان تنفر منه النساء الغراير ۝ فان قيل فكيف قال في البيت الثاني

لئن جزع الوحشي منها لرؤيتي لانسيها من شيب راسي اجزع

لولا ان الوحشية قد نفرت منه ووقع ذلك وجزعه في البيت

الاول قلنا ليس يقتضي هذا الكلام الثاني ان يكون المراد بذكر
الظباء في البيت الاول الظبا على الحقيقة لان من المعلوم
ان الظباء الوحشية وكل وحش ينفر من الانس وهذا
امر ممهد معلوم لا يحتاج الى توجيه حتى يعلم فلما قال ان
النساء اللواتي يشبهن الظباء ينفرن من شيبي جاز ان يقول بعد
ذلك ولئن كانت الظباء الوحشية تنفر مني فالظباء الانسيه
لاجل انه رهن شيبي منهن انفر ولعمري فلم يفسد ذا وبلي الامدي
وينكره بل اجراه وقلنا ان البيت يحتمل سواه وله مرحله قصيده

لعبا لشيب بالمفارق بل جدّ فابكى تماضرا ولعوبا
خضبت خدها الى لؤلؤ العقد دما ان رأت شواتي خضيبا
كل داء يرجى الدواء له الا الفظيعين ميتة ومشيبا
يا نسيب الثغام ذنبك ابقى حسناتي عند الحسان ذنوبا بعد
ولئن عبن ما رأين لقد انكرن مستنكرا وعبن معيبا

او تصدعن عن قلى للغواني الشيب فلي ومنهن حسيبا تاحل
لو رأى الله ان في الشيب فضلا جاورته الابرار في الخلد شيبا

قال الامدي ومن يتعصب على ابي تمام يقول انه ناقض في هذه
الابيات لقوله فابكى تماضرا ولعوبا وقوله
خضبت خدها الى لؤلؤ العقد دما ثم قوله
يا نسيب الثغام ذنبك ابقى حسناتي عند الحسان ذنوبا
وقوله ولئن عبن ما رأين وقالوا كيف سكبن دما على مشيبه
ثم يعبنه قال الامدي ليس ها هنا تناقض لان الشيب انما ابكى
اسفا على شبابه غير الحسان اللواتي عبنه واذا تبرم من اشفق
عليه ممن عابه فلا تناقض واقول لا حاجة بنا الى تحمل المناقضه
به زايلة عن ابي تمام على كل حال لانه ناقض بين البكا على شبابه
ممن راه من النساء ~~من اهل النسيب~~ وتلهف عليه وبين
العيب منهن للشيب والانكار له بل هذه مطابقة وموافقة

ولا يبكي على شبابه من النساء من أن الشيب عيبًا وذنبًا

وقد ذكرنا هذا في باب الغزل وهذا الذي ذكره

وإن كان الحاجة إلى ما تكلفه فقد كان ينبغي أن يعطي لمثله ونظيره

في التغاير والتميز لما غايته بقوله يضحك من أسف

الشباب المدبر فيحمل الضحك من شيء والبكا من غيره

على ما بيناه ولا جملة تبعد الفطنة على إجمال الضحك أو في

معناه وله من جملة قصيدة

راحت غواني الحي عنك غوانيا يلبسن بأسًا تارة وصدودا

من كل سابغة الشباب إذا بدت تركت عميد القريتين عميدا

أربين بالمرد الغطارف بدنا غيدًا ألفتهم لدانًا غيدا

أحلى الرجال من النساء مواقعًا من كان أشبههم بهن خدودا

ووجدت أبا القسم الآمدي ~~حكاية~~ قوله أربين لبًا دون لياء

من أرب بالمكان إذا لزمه وأقام فيه وأربين بالبكا معناه لازمه

وكأنه يقول على الرواية بالبكاء إنهن ازددن علينا بالمرد

كما يقبل الرجل الزيادة في الشيء الذي يعطاه فاضلًا عن حقه

لعمري إن الرواية بالبكاء أقرب منها بالتاء إلى الحق وإن كان

فيهما بعض الحجة على ما أشار إليه الآمدي وقال الآمدي إنه

قوله أحلى الرجال من النساء مواقعًا من قول الأعشى

وأرى الغواني لا يواصلن امرأ فقد الشباب وقد يصلن الأمردا

ولعمري إن البيتين متشابهان إلا أن أبا تمام زاد على الأعشى

بقوله من كان أشبههم بهن خدودا فعلل ميل النساء إلى

المرد والأعشى أطلق من غير تعليل وله وهو ابتدا قصيدة

أبدت أسى إذ رأتني مخلس القصب وآل ما كان من عجب إلى عجب

ست وعشرون تدعوني فأتبعها إلى المشيب ولم تظلم ولم تحب

فلا يؤرقك إيماض القتير به فإن ذاك ابتسام الرأي والأدب

أما قوله من عجب إلى عجب فمن البلاغة الحسنة والاختصار

السديد البارع وقوله كان ذلك ابتسام الراي والادب
ندبة ان الراي والادب والحلم انما تجتمع وتتكامل في
اوان الكبر والشيب دون زمان الشباب وقد تصف
الشعراء ابدا الشيب بانه تبسم في الشعر لبياضه
وضيائه الا ان هذه من ابي تمام زيادة حسنة في اضافة
التبسم الى الراي والادب وتسلية عن الشيب وتنبيها على
منفعته . وله من جملة قصيدة

شاب راسي وما رايت مشيب الراس الا من فضل شيب الفؤاد
وكذاك القلوب في كل بؤس ونعيم طلايع الاجساد
طال انكاري البياض وان عمرت شيئا انكرت لون السواد
زارني شخصه بطلعة ضيم عمرت مجلسي من العواد
نال راسي من ثغرة الهم لما لم ينله من ثغرة الميلاد

ورايت الامدي يقول ان قوما عابوا ابا تمام بقوله شيب الفؤاد
وقال ليس عندي بعيب لانه لما كان الجالب للشيب
القلب المهموم نسب الشيب اليه على الاستعارة
قال الامدي وقد احسن عندي ولم يسى ولا المعيب الا من
عابه . واما انت ايها الامدي فقد نفيت عنه الخطا
فاعتذرت له باعتذار غير صحيح لان القلب اذا كان جالبا للشيب
كيف يصح ان يقال قد شاب هو نفسه وانما يقال انه اشاب
ولا يقال شاب والعذر الصحيح لابي تمام ان الفؤاد لما كان
عليه مدار الجسد في قوة وضعف وزيادة ونقص ثم
شاب راسه لم يخل ذلك الشيب من ان يكون من اجل
تقادم السن وطول العمر او من زيادة الهموم والشدايد
وفي كلي الحالين لا بد من تغير حال الفؤاد وتبدل صفاته
فسمى تغير احواله شيبا استعارة ومجازا كما كان تغير
لون الشعر شيبا والبيت الذي يشهد بما قلناه لانه جعل

فقال له ما احسن التعليل بلا شك ولا لبس

القلوب لطلائع الاحساد في كل بوس ونعيم وقال
الامدي فقوله عمرت مجلسي من العواد لا حقيقة له لانا ما
راينا ولا سمعنا احدا جاه عواد يعودونه من الشيب
ولا ان احدا امرضه الشيب ولا عزاه المعزون عن
الشباب وقد قال ابن حازم الباهلي او غيره

اليس عجيبا بان الفتى يصاب ببعض الذي في يديه
فمن بين باك له موجع وبين معز مغذ اليه
ويسلبه الشيب شرخ الشباب فليس يعزيه خلق عليه

قال واحسب ابا تمام ان يخرج عن عادات بني ادم ويكون امه وحده
فيقال له لم تفطن لمعنى ابي تمام فلمته وقد نبهنا على هذه الوهلة
قبل في كتابنا المعروف بغرر الفوايد وقلنا انه لم يرد العبارة
الحقيقية التي يعني فيها العواد مجالس المرضى وانما تلطف
في الاستعارة والتشبيه واشار الى الغرض اشارة مليحة

والمعنى ان الشيب لما طرقني كثر عندي المتوجعون
الي منه والمتاسفون على شبابي اما بقول ظهر منهم او بما
هو معلوم من قصدهم واعتقادهم فسماهم عوادا تشبيها
لعائد المريض الذي من شانه ان يتوجع له من مرضه ولما
كثر المتوجعون له من الشيب حسن ان يقول عمرت مجلسي
من العواد لان هذه العبارة تدل على الكثرة والزيادة هذا
الذي ذكرناه في كتاب الغرر وهو كاف شاف ويمكن فيه
وجه اخر وهو ان يريد بقوله عمرت مجلسي من العواد الاخبار
عن وجوب عيادته واستحقاقه لذلك بما نزل به فجعل ما يجب
ان يكون كائنا واقعا وهذا له نظاير كثيرة في القران
وفي كلام العرب واشعارهم قال الله تعالى ومن دخله كان
آمنا وانما المعنى انه يجب ان يامن فجعل قوة الوجوب
في اللزوم كانه حصول ووقوع وما يروى عن النبي عليه
السلام

من قوله العارية مردودة والامانة مؤداة والزعيم
غارم من هذا الباب ايضا لانه جعل الوجوب في هذه
المواضع كائنة وقوع ووجود وقد يقال فعل فلان كذا
من الجميل فكثر ما رجوه وان لم يرجه احد وفعل كذا من
القبيح وكثر ذاموه وان لم يذمه بشر وانما المعنى ما اشرنا اليه
فاما ثغرة الهم فانما اراد ناحية الهم وكذلك ثغرة الميلاد
والثغرة في كلامهم هي الفرجة والثلمة ومنه الثغر
وهو البلد المجاور لبلد الاعداء البادي لهم فكان ابا تمام
اراد ان الهموم هي الجالبة للشيب والتي دخل من قبلها
على راسه الشيب دون جهة الميلاد لانه لم يبلغ من السن
ما يقتضي نزول الشيب ٥ وقال الامدي كان وجه
الكلام ان يقول من ثغرة الكبر او من ثغرة السن لا من
ثغرة الميلاد وهذا منه ليس بصحيح لان العبارات الثلث

بمعنى واحد ويقوم بعضها مقام بعض لان الميلاد عبارة
عن السن لمن تقادمت سنه وتقادم ميلاده ومن قربت
سنه وقصرت قصر وقرب زمان ميلاده ٥ وانكر ايضا
الامدي قوله نال راسي والامر بخلاف ما ظنه لان الجمع واحد
وما نال راسه فقد حل به ونزل ونظير قوله
نال راسي من ثغرة الهم قولي في ابيات في الشيب سيجي
ذكرها باذن الله
ولو انصفتني الاربعون لنهنهت من الشيب زورا جاء من جانب الهم
ونظير قوله طال انكاري البياض قول البحتري
وكان جديدها فيها غريبا فصار قديمها حتى الغريب
وله وقيل انه منحول في ذكر الخضاب
فان يكن المشيب طرا علينا ولا ودى بالبشاشة والشباب
فاني لست ادفعه بشي يكون عليه اثقل من خضاب

قال وكان يجب ان يقول حل براسي او نزل براسي

اردت بان ذاك وذا عذاب فنفيت العذاب من العذاب

مضى ما لابي تمام في الشيب

وقال ابو عبادة الوليد بن عبيد البحتري

في الشيب من جملة قصيدة

ولست ارجي في الشباب شفاعة وكيف لناع عن حاجة لشفيعه
مشيب كبث السر عي بحمله محدثه او ضاق صدر مذيعه
تلاحق حتى كاد ياتي بطيئه لحث الليالي قبل اتي سريعه

وهذا والله ابلغ كلام واجوده واحلاه واسلمه واجمعه لحسن اللفظ وجودة المعنى وما احسن ما شبه تكاثر الشيب وتلاحقه ببث السر عن ضيق صدر صاحبه واعيائه بحمله وعجزه عن طيه ويشبه بعض الشبه قوله تلاحق حتى كاد ياتي بطيئه قولي من ابيات يجيء ذكرها مشية الله

سبق احتراسي من اذاه بطيئه لما تجلى فكيف عجوله

وفي هذا البيت لمحة بعيدة من بيت البحتري وليس بنظير له على التحقيق ومعنى البيت الذي يخصني ادخل في الصنعة والتحقيق كاني خبرت بان بطيء الشيب سبق وغلب احتراسي وحذري منه فكيف عجوله ومن سبقه للبطيء فكيف لا يسبقه السريع والبحتري قال ان البطيء كاد ان يسبق السريع وهذا على ظاهره لا يصح لانه يجعل البطيء هو السريع بل اسرع منه لكن المعنى انه متدارك متواتر فكاد البطيء لحث الليالي له ان يسبق السريع وهذا في غاية الملاحة وله ايضا من جملة قصيدة

ردي على الصبي ان كنت فاعلة ان الصبي ليس من شاني ولا اربي
جاوزت حد الشباب النضر ملتفتا الى بنات الصبي بركض في طلبي
والشيب مهرب من جار منيته ولا نجاة له في ذلك الهرب
والمرء لو كانت الشعرى له وطنا صبت عليه صروف الدهر من صبب

وهذا كلام مصقول مقبول عليه طلاوة غير مدفوعة
ولا مجهولة ولقوله والشيب مهرب من جاري منيته له طاير
سبج النقبة عليها مشية الله وعونه   وله

وهو ابتدا قصيده

لا بس من شيبة ام ناض وملح من شيبة ام راض
واذا ما امتعضت من ولع الشيب براسي لم يغن ذاك امتعاضي
ليس يرضى عن الزمان مرو فيه الا عن غفلة او تغاضي
والبواقي من الليالي وان خالفن شيئا شبيهات المواضي
يا لويت لمي وما دت منها سو هذي الابدال والاعواض
شعرات اقصهن ويرجعن رجوع السهام في الاغراض
وابت تركي الغدبات والاصال حتى خضبت بالمقراض
غير نقع الا الثقل من شخص عدو لم يعده انغاضي
ورا والمشيب كالشخص في عيني فقل فيه في العيون المراض

ظلت نفسا عن الشباب وما سود من صبغ برده الفضفاض
فهل الحادثات يا ابن عوف تاركاتي ولبس هذا البياض

قوله خضبت بالمقراض في غاية الملاحة والرشاقة
ومعنى قوله رجوع السهام في الاغراض انه لا يملك رداً
لطلوع الشيب بشعره ولا تلافيا لحلوله فيجري في ذلك
مجرى رجوع السهام الى الغرض في انه لا يملك مرسل
السهم صده عنه ولا رده عن اصابته ويحتمل في ذلك
وجه اخر وان كان الاول اشبه وهو ان يريد بالاغراض
المقاتل والمواضع الشريفة من الاعضاء فكانه يشبه
رجوع الشيب بعد قصه له وطلوعه في شدة ايلامه
وانكاءه باصابة السهام للمقاتل والفرايص ويحتمل
وجها اخر وهو ان السهام تنزع من الاغراض ثم ترجع
بالرمي اليها ابدا فاستشبهت بذلك الشيب في قصه من

طلوعه ثم طلوعه ورجوعه الى مواضعه ٥ ونظير
قوله فهل الجاذبات بابن عويف البيت قوله من قصيدة اخرى

يعيب الغانيات علي شيبي ومن لي أن أمتع بالمعيب

وله من قصيدة

وما أسرّ أنس عهد الشباب وعلوه اذ عيرتني الكبر
كواكب شيب علقن الصبى فقللن من حسنه ما كثر
واني وجدت فلا تكذبن سواد الهوى في بياض الشعر
ولا بد من ترك احدى اثنتين اما الشباب واما العمر

ووجدنا لابي القسم الامدي زلة في البيت الاخير من هذه
الابيات فنبهنا عليها في باب الغرر ونحن نذكرها هاهنا
فان الموضع يليق بذكرها قال الامدي على البحتري في قوله
ولا بد من ترك احدى اثنتين معارضة وهو ان يقال ان من
مات شابا فقد فارق الشباب وفاته العمر ايضا فهو تارك

لهما ومن شاب وقد فارق الشباب وهو مفارق للعمر
لا محالة فهو ايضا تارك لهما جميعا وقوله اما واما لا يوجب
الا احدهما قال والعذر للبحتري ان من مات شابا فقد فارق
الشباب وحده لانه لم يعمر فيكون مفارقا للعمر الا ترى انهم
يقولون عمر فلان اذا اسن وفلان لم يعمر اذا مات شابا ومن شاب
وعمر لم يكن مفارقا للشباب في حال موته لانه قد قطع ايام
الشباب وتقدمت مفارقته له وانما يكون في حال موته
مفارقا للعمر وحده قال هذا مذهب البحتري وهو صحيح ولم يرد
بالعمر المدة القصيرة التي يعمرها الانسان وانما اراد
بالعمر هاهنا الكبر كما قال زهير

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

ولم يرد البحتري ما توهمه الامدي وانما اراد ان الانسان بين خلتين
اما ان يفارق الشباب بالشيب او العمر بالموت فمن مات

شابًا فاما فارق العمر وفارق بفراقه سائر احوال الحياة من
شباب وشيب وغيرهما فلم يفارق الشباب بوجه بلا واسطة
وانما فارق العمر الذي فارق بمفارقته الشباب وغيره وقسمة
البحتري تناولت احد امرين اما مفارقة الشباب بوجه بلا
واسطة ولن يكون ذلك الا بالشيب ومفارقة العمر بالموت
وتقدير كلامه انه لابد للحي منا من شيب او موت لان الشيب
والموت يتعاقبان عليه وانما اقام البحتري قوله العمر مقام قوله
الحيوة والبقا وعدل الى لفظة العمر لاجل القافية ولو قال لكلا
بد من ترك الشباب او ترك الحيوة لقام مقام قوله العمر فاما
اعتراضه بمن مات شيخًا وانه قد فارق العمر والشباب جميعًا
فليس بشي لان هذا ما فارق الا العمر دون الشباب لان الشباب
قد تقدمت مفارقته له وقد خرج بالشيب عن حال الشباب
فلم يفارق الا العمر وحده والبحتري انما توجهت قسمته

الى من كانت له الحالتان جميعًا من شباب وحياة فقال لا
بد ان يفارق الشباب بالشيب او العمر بالموت فاي اعتراض
من هو على احدى الحالتين دون الاخرى فاما اعتذار الامدي للبحتري
بان من مات شابًا فما فارق العمر وانما فارق الشباب وحده من
حيث لم يطل عمره ولم يتملا فيه معمر فغلط فاحش لان اسم العمر
يتناول ايام الشباب كما يتناول ما زاد عليها ولهذا يقولون
في الشاب والصبي لم يطل عمره وكان عمره قصيرًا فاسم العمر
يتناول الطويل والقصير من زمان حياة احدنا وانما لا يقال
فيمن عاش طرفة عين ان له عمرًا لان المتعارف من استعمال
هذه اللفظة فيما تستمر الحيوة له ضربًا من الاستمرار قصر او
طال وليس يجري قولهم عمر ومعمر يجري مجرى قولهم له عمر لان
لفظة عمر وما اشبهها تفيد التطاول ولا تكاد تستعمل الا
في المسن لانها تفيد من حيث التشديد التكاثر والزيادة في

في العمر ولفظة عمر بخلاف ذلك لانها تستعمل في الطويل
والقصير ونظائر هذا البيت في معناه يجيء ذكرها عند الانتهاء
إليها مخرجة من شعري   وله من قصيدة

يعيب الغانيات عليّ شيبي ومن لي أن أمتّع بالمعيب
ووجدي بالشباب وإن تقضّى حميدًا دون وجدي بالمشيب

إنما جعل وجده بالشباب أقل من وجده بالمشيب لأنه يفارق
الشباب بالشيب وصاحب الشيب في قيد الحياة على
كل حال ولا يفارق الشيب إلا بالموت والإشارة بالمعاني أقوى

وله من قصيدة

أعداوة كانت ومن عجب الهوى أن يصطفى فيه العدو حبيب
أم وصلة صرفت فعادت هجرة أن عاد ريعان الشباب مشيبا
أرأيته من بعد جثل فاحم جون المفارق بالنهار خضيبا
فعجبت من حالين خالف منهما ريب الزمان وما رأيت عجيبا
إن الزمان إذا تتابع خطوه سبق الطلوب وأدرك المطلوبا

أراد بقوله جون المفارق أي هو أبيض المفارق ولهذا قال
بالنهار خضيبا   وله من قصيدة

رأت فلتات الشيب فابتسمت لها وقالت نجوم لو طلعن بأسعد
أعاتك ما كان الشباب مقرّبي إليك فألحى الشيب إذ كان مبعدي
تزيدين هجرًا كلما ازددت لوعة طلابًا لأن أردى فها أنا ذا ردي
متى أدرك العيش الذي فات آنفًا إذا كان يومي فيك أحسن من غدي فات

ووجدت الآمدي يقول ها هنا بعد استحسانه هذه الأبيات
وهي لعمري في غاية الحلاوة والطلاوة إن معنى تبسمت أنها استهزأت
قال وبهذا جرت عادة النساء أي يضحكن من الشيب ويستهزين
لا أن يبكين كما قال أبو تمام ولم يقع [illegible] وهذه عصبية
شديدة من الآمدي على أبي تمام وغمط لمحاسنه والنساء قد يستهزين
تارةً بالشيب ويبكين تارةً لحلوله على حسب أحوالهن مع ذي الشيب
فإذا كنّ عنه معرضات وله غير محبات استهزأن بشيبه وإن كن

بكبره
له ذا مقات وعليه مشفقات لحلول شيبه لفوت
متعتهن بشبابه وتلهفا على ما مضى من زمانه ه فاما
قوله لو طلعن باسعد فانما تمنى ذلك وتلهف عليه لما فات في موضع
اخر

ولعجبت من لوعتي فتبسمت عن واضحات لو لثمن عذاب

ولم يجعل ذلك شرطا في انهن عذاب واضحات كما لم يجعل التشبيه
الشيب بالنجوم شرطا بطلوع السعود وانما تمنى ذلك
وتلهف عليه ولانه لما طلع عن محبته انها شبهت الشيب بالنجوم
على سبيل التهجين له والازرا عليه ارادت ان تسلب الشيب
فضيلة النجوم وانه ان اشبهها منظرا فما اشبهها فضلا ومنفعة
فقالت لو طلعن باسعد اى طلوع الشيب ضد السعادة وان
كان طلوع النجوم قد يكون بالسعد وهذا تدقيق مليح وتوفى

وله من قصيده

عنت كبدي قسوة منك ما تزال تجدد فيها ندوبا
وحملت عذلك ذنب المشيب حتى كانى ابتدعت المشيبا

ومن يطلع شرف الاربعين يلاق من الشيب زورا غريبا

وله من قصيدة

وقد دعانا هيبا فاسمعني وخط على الراس مخلس شعره
مشيب ارتني الاسى اوايله فليت شعري ما ذا ترى اخره
صغر قدري في الغانيات وما اصغر صبا تصغره كبره

وله من قصيده

ابثني الشباب ام ما تولى عنه في الدهر دولة ما تعود
لا ارى العيش والمفارق بيض اسوة العيش والمفارق سود
كا عد الشقي جدا ولو اعطي غنا حتى يقال سعيد
من عدته العيون وانصرفت عنه التفاتا الى سواه الخدود

وله ايضا

راعني ما يروع من وافد الشيب طروقا ورابني ما يريب
شعرات سود اذا طلن بيضا حال عن وصله المحب الحبيب
من بعد السواد ما كان يحلو مجتناه من عيشنا ويطيب

وله ايضا

اجدك ما وصل الغواني بمطمع ولا القلب من رق الغواني بمعتق
وددت بياض السيف يوم لقيتني مكان بياض الشيب كان بمفرقي

وله ايضا

عمر الغواني لقد بين من كثب هضيمة في محب غير محبوب
اذا امددن الى اعراضه سببا وقين من كرهه الشبان بالشيب

وله ايضا

خلياه وجدة اللهو ما دام رداء الشباب غضا جديدا
ان ايامه من البيض بيض ما راين المفارق السود سودا

وله ايضا

فلك مني فما جوى السقم الا في ضلوع على جوى الحب تحنا
لو ان حادث الخضاب لانت وارتنت من احرار البيض نا
كلفت البيض بالعمر قدرا حين يطفن والمصغر سنا
بئسما عفن العزير المسمى من نصاب دون الخليل المكنا

وله ايضا

ترك السواد للابسيه وبيضا ونضا من السنين عنه ما نضا
وشاه اغيد في تفوق لحظه مرض اعل به القلوب وامرضا
وكانه وجد الصبى بجديده دينا دنى ميقاته ان يقبضا
اسيان اثرى من جوى وصبابة واساف من وصل الحسان و انفضا

وله ايضا

اخي ان الصبى اسمر به سير الليالي وانهجت برده

الاسيان [illegible] الحزين وهي اسان [illegible] ذهب ماله و [illegible] افتقر وحاجها [illegible] ها هنا فني [illegible] وصل الحسان [illegible]

تصد عن الحسان مبعدة اذ انا لا اقربه ولا صدده
شيب على المفرقين بارضه يكثر لرائيه عدده
تطلب عندي الشباب ظالمة لعهد حسنى جد لا تجده
لا عجب ان ثقلت محلتنا فافقد الوصل تبك مفتقده
من يتطاول على مطاوله العيش يقعقع من مله عمده مله

وقد كنا نبهنا في كتاب الغرر على هفوة للامدي في قول البحتري يقعقع من مله عمده لانه ظن ان معناه ان عظام الكبير المسن يجيء لها صوت اذا قام وقعد وسمع لها قعقعة وما سمعنا بهذا الذي ظنه في وصف ذوي الاسنان والكبر والمعنى اظهر من ان يخفى على احد لانه اراد ان من عمر واسن وطاول العيش فحل رحيله وابتعاله عن الدنيا وكنى عن ذلك بتقعقع العمد لان ذوي الاطناب والخيام اذا انتقلوا من محل الى غيره وشدوا عمد خيامهم

وشارت بها الابل سمعت لها قعقعة ومن امثال
العرب المعروفة من يجمع يتقعقع عمده يريدون ان التجمع
يعقب التفرق والرجل الذي يتقعقع معه العمد يعني
قوله من مله بريدا لسائم والملال دون ما ظنه الامدي
من انه من ملل العيش   وله ايضا

اقول للمتي اذ اسرعت بي الى الشيب اخضري فيه وحبي
مخالفة بعض بعد ضرب وما انا واختلافات الضروب
وكان جديدها فيها غريبا فصار قديمها حق الغريب

وله ايضا

هل انت صارف شيبة ان غلست في الوقت او عجلت عن الميعاد
كانت مقدمة امام طوالع هذي تراوحني وتلك تغادي
واخو الغبينة تاجر في لمة تشري جديد بياضها بسواد
لا تدنين فما الصبي بمخلف لهوا ولا زمن الصبي بمعاد
واري الشباب على غضارة حسنه وجماله عددا من الاعداد

وقد وجدت الامدي قد زل في معنى قوله تشري جديد
بياضها بسواد لانه قال معنى تشري تبيع واراد ان الغبين
من باع جديد بياضه بالسواد واراد بالسواد الخضاب
فكانه ذم الخضاب والامر بخلاف ما ذكره وما جرى
للخضاب ذكر ولا ها هنا موضع للكناية عنه ومعنى تشري
ها هنا يبتاع لا يبيع لان قولهم شريت يستعمل في البائع
والمبتاع جميعا وهما من الاضداد وقد نص اهل اللغة
على هذا في كتبهم فكانه شهد بالغبن لمن يبتاع الشيب
بالشباب ويتعوض عنه به وانما ذهب على الامدي ان
لفظة تشري تقع على الامرين المتضادين فتخلط في الخضاب
الذي لا معنى له ها هنا ٥ وقال الامدي في قوله عددا من
الاعداد انه اراد عددا قليلا وقد اصاب في ذلك الا انه ما
ذكر شاهده ووجهه والعرب تقول في الشيء القليل

انه معدود اذا ارادوا الاخبار عن قلته قال الله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وقال جل اسمه في موضع اخر واذكروا الله في ايام معدودات ٥ واظنهم ذهبوا في وصف القليل بانه معدود من حيث كان العد والحصر لا يقع الا على القليل والكثير لكثرته لا ينضبط ولا يحصر

وله ايضا

ما كان شوقي ببدع يوم ذاك ولا دمعي باول دمع في الهوى سفحا
ولمة كنت مشغوفا بجدتها فما عفا الشيب لي عنها وقد صفحا

هذا والله هو الكلام الحلو المذاق السليم من كل كلفة البري من كل عقلة وحبسة

وله ايضا

قالت الشيب اني قلت اجل سبق الوقت ضرارا وعجل
ومع الشيب على علاته مهلة للمرء حينا والعذل
حيلت ثم التصابي خرق بعد خمسين ومن يسمع يخل

وله ايضا

تزيدني الايام مغبوط عيشة فينقص نقص الليالي مرورها
والحقني بالشيب في عقر داره منازل في عرض الشباب اسيرها
مضت في سواد الراس اولى طالتي فدعني بصاحب وخط شيبي اخيرها

المنازل المراحل ووجدت الاصل يفسر البيت الاول من هذه القطعة فيقول اراد ان الايام اذا زادتني شيئا من غبطة العيش اجتمعت مع الليالي على انتقاصه وارتجاعه ٥ وغير هذا التاويل الذي ذكره اولى منه وهو ان يكون المراد ان الايام اذا زادتني غبطة في العيش نقصني ذلك مرورها ويريد بقوله نقص الليالي كما تنقص الايام من الليالي لان الايام تاخذ من الليالي وتنقصها وهذا التاويل اشبه بالصواب من تاويله فان قيل كما تاخذ الايام من الليالي كذلك الليالي قد تاخذ من الايام وتنقصها قلنا هذا صحيح ولو قال قايل في غير هذا الموضع فمن نقص وثلم انه منقوص من نقص الليالي من الايام لجاز وانما اضاف النقص في هذا

الموضع الى مرور الايام لانه اضاف الزيادة اليها
وشبه نقصها له بنقصها لليالي   وله ايضا

كلف يكفكف عبرة مهراقة .. اسفا على عهد الشباب وما انقضى
عدد تكامل للذهاب مجيئه واذا مضى الشي حان فقد مضى
خفض عليك من الهموم فانما تحظى براحة دهره من خفضا

وقال الامدي في قوله وما انقضى انه اراد انقضا به
لان ما والفعل بمنزلة المصدر مثل قولك سرني ما عمل زيد
اي سرني عمله ثم قال ويجوز ان يكون اراد بقوله وما انقضى
اي ولم ينقص بعد قال ~~وهذا اجود بقوله وما انقضى اي ولم~~
~~ينقص بعد قال~~ وهذا اجود لانه قال واذا مضى الشي
حان فقد مضى فدل على انه في بقية من الشباب ٥
والوجه الاول الذي ذكره بعيد من الصواب لا يجوز ان يكون
الشاعر عناه ولا اراده وانما خبر بانه متلهف متاسف

على عهد الشباب قبل مفارقته وخوفا من فوته فالكلام
كله دال على ذلك   وله ايضا

خلق العيش في المشيب وان كان نضيرا وفي الشباب جديده
ليت ان الايام قام عليها من اذا ما انقضى زمان يعيده
ولو ان البقا يختار فينا كان ما تهدم الليالي تشيده
شيبتني الخطوب الا بقايا من شباب لم يبق الا شريده
لا تغيب عن الصبي فخليق ان طلبناه ان يعز وجوده

وله ايضا

اواخر العيش اخبار مكدرة واقرب العيش من لهو اوائله
يجري الشباب اذا ما تم نحو له والشي يفقده نقصا تكامله
ويعقب المرء برا من صبابته تجرم العام يمضي ثم قابله
ان فر من عنت الايام جازعها فالحزم فرك ممن لا تقاتله
وان اراب صديقي في الوداد فكم امسيت احذر ما اصبحت آمله

وهذه الابيات تصلح ان تكون لابي تمام لقربها من طريقته

وظهور الصنعة فيها والتكلف وان كانت في حيز الجودة
والرصانة والوثاقة وقوله يجري الشباب معناه
ينقص يقال جرى الشيء يجري جريا اذا نقص واجراه
الزمان ويقال للانثى جارية وهي التي كبرت ونقص
جسمها وذاك احب لها   وله ايضا

اما الشباب فقد سقيت لغضه وحططت رحلك مرتعا عن نقضه
وافاق مشتاق واقصر عاذل ارضاه قبل الشيب اذ لم يرضه
شعر يجن الدهر حتى جازني مسوده الاقصى الى مبيضه
فعلى الصبى الان السلام ولوعة يبني عليه الدمع في مرفضه
وليفن تفاح الخدود فلست من تقبيله غزلا ولا من عضه

وله ايضا

وصال سقاني الحب صرفا ولم يكن ليبلغ ما ادركت بالهجر
وبلغي شباب في مشيب تغلبت عليه احشا النوم ليلة الشهر
وليس كلقيا من تروح او غدا لسوم التصابي والمشيب بسر

نطا وجنى العصران في رجويهما ليسبي عصر ويلتقي عصر
متاع من الدنيا شبيبة يجري وما عظم جرم الدهر ان يمنع الدهر

اما قوله احشا النوم فالاحشا عندهم هو الاستحيا
والاخزال والنوم يتحول من مكابرة السهر فتصوره
عنه وهذه الابيات ايضا فيها اذى تكلف وان كانت
جيده المعاني وثيقه المباني   وله ايضا

تقضى الصبى الا تلوم راحل واغنى المشيب عن ملام العواذل
وبات صروف الدهر سودا شخوصها على البيض اذ يحظى منه بطائل
كاول عندي صبوة واخالني على شغل مما تحاول شاغل
رمي رزايا صائبات كانني لما اشتكي منها دمي حبا دل

وهذه الابيات لها ما شاءت من جزالة وفصاحة وملاحة

وله ايضا

في الشيب زجر له لو كان ينزجر وبالغ منه لولا انه حجر
ابيض ما اسود من فوديه وارتجعت جلية الصبح ما قد اغفل [illegible]

وللفتى مهلة في العيش واسعة ما لم يمت في نواحي راسه الشعر
قال الامدي ارتجعت حليه الصبح ما قد اغفل السحر قريب من
من قوله . تريدني الايام مغبوط عيشة فينقصني بعض
الليالي مرورها ٥ ويقول ان الامر بخلاف ما ظنه
ولا نسبة بين الموضعين لان احد البيتين تضمن ان الذي
يزيده هو الذي ينقصه والبيت الاخر تضمن ان الصبح ارتجع
نور ضوحه وحليته ما اغفله السحر وتركه من السواد
الرقيق اليسير والمرتجع غير المعطى ها هنا وله ايضا
رب عيش لنا برامة رطب وليال فيها طوال قصار
قبل ان يقبل المشيب وتبدو هفوات الشباب في الادبار
كل عذر من كل ذنب ولكن اعوز العذر من بياض العذار
كان حلوا هذا الهوى فاراه صار مرا والسكر قبل الخمار
معنى قوله طوال قصار انهن طوال في نفوسهن ولكن قصارا

ببلوغ الاماني فيهن والظفر بالمحبوبات ونيل المطلوبات
وقوله كل عذر من كل ذنب يريد به ان العذر معنا
في الذنوب كلها الا من الشيب ٥ فان قيل فقد سمى
الشيب ذنبا وجعله من جملة الذنوب وليس بذنب على
التحقيق قلنا انما سماه ذنبا تجوزا واتساعا لان النساء
يستذنبن به ويواخذن بحلوله ونزوله وان لم يكن على
الحقيقة ذنبا ومن جنت طريك ذنبا عنه اعتذار ولا تتصل

وله ايضا

عيرتني المشيب وهي بدته في عذاري بالصد والاجتناب
لا تريه عارا فما هو بالشيب ولكنه جلاء الشباب
وبياض البازي اصدق احسن لونا ان تاملت من سواد الغراب

وله ايضا

ها هو الشيب لائما فافيقي واتركيه ان كان غير مفيق
فلقد كف من عناء المعنى وتلافا من اشتياق المشوق
عذلته في عشقها ام عمرو هل سمعتم بالعاذل المعشوق

ورأت لمة ألم بها الشيب فريعت من ظلمة في شروق
ولعمري لولا الأقاحي لأبصرت أنيق الرياض غير أنيق
وسواد العيون لو لم يكمل ببياض ما كان بالموموق
ومزاج الصهباء بالماء أملى بصبوح مستحسن وغبوق
أي ليل يبهى بغير نجوم وسماء تندى بغير بروق

قال الآمدي أخذ قوله أي ليل يبهى بغير نجوم من قول الشاعر

تفاريق شيب في السواد لوامع وما خير ليل ليس فيه نجوم
أشيب ولم أقض الشباب حقوقه ولم يمض من عهد الشباب قليل

وقد قلنا إنه لا ينبغي أن يقال أخذ فلان كلام فلان وإنما يقال في البيتين إنهما يتشابهان ويتشاكلان وإن هذا نظير ذاك ولا يزاد على ذلك ويشبه قول البحتري

ولعمري لولا الأقاحي لأبصرنا أنيق الرياض غير أنيق

قول الشاعر لا يرعك المشيب يا ابنة عبد الله والشيب حلية ووقار

إنما تحسن الرياض إذا ما ضحكت في خلالها الأنوار

وقد شبهت الشعراء كثيرا الشيب بالنجوم وبالنور وهو طريق مسلوك معهود فمن محسن في العبارة عنه ومسيء ومستو ومقصر وسأنبه على ذلك وعلى ما يحضرني فيه عند الانتهاء إلى ذكره من شعري بمشيئة الله وعونه وجميل صنعه

وله أيضا

فإن ست وستون استقلت فلا كرت بطلعتها الخطوب
لقد سر الأعادي في أني براس العين محزون كئيب
وأني اليوم عن وطني شريد بلا جرم ومن أهلي غريب
تعاظمت الحوادث حول حظي وشيبت دون لعبتي الحروب
على حين استتم الوهن عظمي وأعطي ما احتكم المشيب

وله أيضا

فبعت على كره وطالت ناظري إلى نق وطرق ولي العيش حسرج
ولجلجت في قولي ولست متى أقل بمسمعة في مجمع لا أجلج

نطق الهدى اني فنيت وانما هي السن في برد من الشيب منهج
نضوت الصبا نضو الرداء وساقني مضى اخي انس مني نضو لاحج
ولـ ه الصا
ومعترك بالبهم تعلم في غد از الجهاد وراء كل بنان
ابني اني قد نضوت بطالتي فتحيرت وصحوت من سكراتي
نظرت الى الاربعين فاصرخت شيبي وهزت للحنو قناتي
واري لداتي يتابع كثرهم فمضوا وكر الدهر جل لداتي
ومن الاقارب من يسر بميتتي سعيها وعز حياتهم بحياتي

واحسن كل الاحسان في هذا الكلام العذب الرطب مع متانة وجزالة واقوله فاصرخت شيبي وهزت للحنو قناتي الحظ الجزل من فصاحته وملاحته مضى بالتجربة

وهذا ابدا ما اخرجه لاخي رضي الله عنه
في الشيب

قال رضي الله عنه وهو ابتداء قصيدة
دوام الهوى في ضمان الشباب وما الحب الا زمان التصابي

أحين فشا الشيب في شعره وكتم اوضاحه بالخضاب
تروعين اوقاته بالصدود وترمين ايامه بالسباب
تخطى المشيب الى راسه وقد كان اعلى قباب الشباب
كذلك الرياح اذا استلمت تقصف اعلى الغصون الرطاب
مشيب كما استل صدر الحسام لم يرو من لبثه في القراب
نضى فاستباح حمى الملهيات وراع الغواني بظفر وناب
والوى بجدة ايامه فاصبح مفتقد العين الكعاب
تستتر عنه مخال السوار اما بدا ومناط السخاب

قوله لم يرو من لبثه في القراب استعارة مليحة وانما اشار الى ان الشيب عجل على سواده في غير حينه وبانه لانه لما شبه طلوع الشيب بسله السيف اراد ان يبين مع هذا التشبيه سرعة وفوده في غير وقته فقال لم يرو من لبثه في القراب تحقيقا للمعنى الذي ذكرناه ه

وله وهو ابتدا قصيدة

مسيري في ليل الشباب ضلال وشيبي ضياء في الورى وجمال

سواد ولكن البياض سيادة وليل ولكن النهار جلال

وما المرء قبل الشيب الا مهند صدي وشيب العارضين صقال

وليس خضاب الراس الا تعلة لمن شاب منه عارض وقذال

وله من جملة قصيدة

ضاع الشباب فقل لي اين اطلبه وازور عن نظري البيض الرعاديد

وجرد الشيب في فودي ابيضه يا ليته في سواد الشعر مغمود

بيض وسود براسي لا يسلطها على الذوائب الا البيض والسود

وله وهو ابتدا قصيدة

لون الشبيبة انصل الالوان والشيب حلي عمائم الفتيان

نبتت باعلى الراس نزغاة الردى عن المطي منابت العيطان

الشيب احسن غير ان غضارة للمرء في ورق الشباب الاني

وكذا بياض الناظرين وانما بسوادها نتامل العينان

وله من قصيده

تنفس في راسي بياض كانه صقال تدلق في النصول الدوالق

وما خزني ان حال لون وانما اري الشيب عضبا قاطعا حبل عاتقي

فمالي اذم الغادرين وانما شبابي اوفى غادر لي ومارق

تعيرني شيبي كاني ابتدعته ومن لي ان يفنى بياض المفارق

وازورا الشيب مالا اجوزه لعايقة تلبسي جميع العوايق

وليس نهار الشيب عندي بمزمع رجوعا الى ليل الشباب الغرانق

نظير قوله ومن لي ان يفنى بياض المفارق قول البحتري

ومن لي ان امتع بالمعيب   واحسن مسلم بن الوليد في قوله

الشيب كره وكره ان يفارقني اعجب بشيء على البغضاء مودود

يمضي الشباب وياتي بعده خلف والشيب يذهب مفقودا بمفقود

ومعنى قوله مفقودا بمفقود اي انه يمضي صاحبه معه ويفقده

بفقده وليس كذلك الشباب   ومعنى قوله وما خزني ان

جالي لون اى لبس فى تغير اللون ما اجزع له للبنى ارى
الشيب كالسيف الذى يقطع حبل عاتقه وهذا معنا له
لتشبيه للون الشيب بلون السيف يفيد ان حلول الشيب
به فى قطع اماله وحسم لذاته وتغير احواله جرى مجرى
قطع السيف حبل عاتقه فقد احسن كل الاحسان فى هذه الابيات
فما اجود سبكها واسلم لفظها واصح معانيها

وله من قصيده

ولى الشباب وهذا الشيب طارده يغلي الطريدة دال الطارد العجل
ما نازل الشيب فى راسى بمرتحل عني واعلم انى عنه مرتحل
من لم يعظه بياض الشعر ادركه فى غره حتفه المقدور والاجل
من احطانه سهام الموت قيده طول السنين فلا لهو ولا جذل

وله وهو اول قصيدة

اراعي بلوغ الشيب والشيب كابيا وافني الليالي والليالي فوانيا
وفيها
تلون راسى والزمان بحاله وفي كل حال لا تغب الامانيا
وعاريه الايام عندى شبيبة اسانها قبل الاوان التقاضيا

ارى الدهر غصبا نا لما ليس حقه فلا عجب ان يسترد العواريا
وما شبت من طول السنين وانما غبار صروف الدهر غطا سواديا
وما الخط اولى لشعر حتى تعيبه فيقص همة القلب باقي عذاريا
والشبه لتشبيه الشيب بالغبار واضافه ذلك الى حروب
الدهر قول ابن المعتز

صدت شرير وازمعت هجري وصغت ضمايرها الى الغدر
قالت كبرت وشبت قلت لها هذا غبار وقايع الدهر

وقال ابن الرومي

اطار غبار الشيب فوق مفارقي تلوى سنى الراكضات اماميا

ولابي الجنوب

قالت ارى شيبا براسك قلت لا هذا غبار من غبار العسكر

وقصر غاية التقصير عن ابن المعتز وابن الرومي لانهما مع
التشبيه للشيب بالغبار فى اللون اضافاه الى وقايع
الدهر وركض السنين الى شيب هذا الغبار و[illegible]
فعلا على كل حال شيئا وابو الجنوب حصل على تشبيه اللون المحض

الصرف قربا ذنبهما عليه غير مجهولتين ولي ما فيه بعض التشبيه بما ذكرناه لكنه في وصف الابل وهو

ويهون عن داعي المراح ففارقا بالاسمط الابياض غبار

فهذا البيت تضمن تشبيه بياض الغبار بالسمط وهذا جنس استنبتناه من السمط من حيث اشبهه وان الذي من جنسه وما تقدم لاخي رحمه الله وابن المعتز فيه تشبيه الشيب وبياضه بالغبار والمعنى متقارب لان الشيء اذا اشبه غيره فذلك الغير مشبه له وانا اقسم قسما برا اني لما نظمت هذا البيت في وصف الابل ما كنت سمعت قبله من احد في نظم ولا نثر تشبيه الشيب بالغبار وانما اتفق على سبيل التوارد ولان يشتبه هذا بذاك امر مشاكل يجوز ان يقع لمن فكر من غير ايقاع منه لغيره وهذا انكر ابدا على من تقدم من العلماء فيقول الخر فلان من فلان اذا وقفوا على تشابه بين معانيهما وله من جملة قصيدة

عقيب شباب المرء شيب يخصه اذا طال عمر او فنا لعمه
[illegible] شيب خلفها فيلوي الردى براسي له نقع وبالقلب كلمه

فقوله براسي له نقع مثل قوله غبار حروب الدهر وما ذكرناه من نظايره ومعنى شيب يخصه اي يخص الشباب فالها كناية عن الشباب وقوله او فنا لعمه يعني بعمر المرء فالها في لعمه كناية عن المرء نفسه وله ابتدا قصيدة

اشوقا وما زالت لهن قباب وذكر تصاب والمشيب نقاب
وعند التصابي للكبير تعلة وعند الغواني للبياض حجاب
وما كل ايام الشباب مريرة ولا كل ايام الشباب عذاب
اؤمل ما لا يبلغ العمر بعضه كان الذي بعد المشيب شباب
وطعم لبازي الشيب لا بد مهجتي اسف على راسي وكان غراب
لداتك اما بنت وانتحى الردى جميعا واما ان ربيت وشابوا

هذه الابيات قوية مستوية مطبوعة الالفاظ بعيدة من

النصف والبيت الاخير يقتضي قسمة علينا بعض الطعن لانه
قد يشيب ولا يموت جميع لذاته بان يشيبوا ايضا معه
او بعضهم ولذلك قد يموت هو ويموت بعض لذاته فليس
من الواجب انه متى شاب مات جميع لذاته ولا انه متى مات
شاب جميعهم والقسمة تقتضي تعاقب كل واحد من الامرين
ووجوب احدهما وقد بينا ان الامر بخلاف ذلك والقسمة الصحيحة
هي في قولي

والشيب ان فكرت فيه مورد لا بد يورده الفتى ان عمرا

وقولي

من عاش لم يجن عليه نوب شبابه نواحي راسه او هرما

وقولي

ومن ضل عن ايدي الردى شاب مفرقه فا

وله من اثنا قصيدة

يعد الفتى ذكر المشيب وربما تلقى انقضا العمر قبل مشيبه

وله من اثنا قصيده

الا ان ذاك الشباب الرطيب اما ان لي بيض ايامه
فمشى الدهر بيني وبين النعيم ظلما وغير من حاليه.

نظرت وويل امها نظرة بيضاء في عارضي باديه
تظنون داعية للشباب فقلت ولكنها ناعيه

وله وهو ابتدا قصيده

ما ابيض من لون العوارض افضل وهوى الفتى ذاك البياض الاول
مثلان ذا جرب الملام وذا المشيب تعاون من يلوم ويعذل
ارنو الى يقق المشيب فلا ارى الا قواضب للرقاب تسلل
واللمة البيضاء اهون حادث في الدهر لو ان الردى لا يعجل
ولقد حملت شبابها ومشيبها فاذا المشيب على الذوائب اثقل

تشبيه بياض الشيب ببياض السيوف يجي كثيرا في الشعر
ويتردد فاما الاستثقال لحمل الشيب فمن احسن ما قيل فيه قول
علي بن جبلة وربما رويت لدعبل بن علي الخزاعي

القى عصاه وارخى من عمامته وقال ضيف فقلت الشيب قال اجل
فقلت اخطات دار الحي قال ولم مضت لك الاربعون الوفر ثم نزل
فما شجيت بشي ما شجيت به كانما اعتم منه مفرقي بجبل

ولـــه من جملة قصيده

أرى شيبة في العارض فليتوي بطي جراها جوى وغليل
ومن عجب غضي عن الشيب جازعا وكري اذا الف العليل عليل

ولـــه من ابيات قصيده

نضوت شبابا لم انل فيه نشوة على ان سلطان البطالة مالي
ولست قصير الباع عن نيل محرم ومن عددي قلب جري وساعد

ولـــه من جمله قصيده

اذا ما امرؤ لم يكسه الشيب عفة فما الشيب الا سبة للاشايب

ولـــه وهو ابتدا قصيده

ارابك من مشيبي ما ارابا وما هذا البياض علي عابا
لئن ابغضت مني شيب راسي فاني مبغض منك الشبابا
ذممت البيض من جزع مشيبي وذل البيض اولها اشابا
وكانت سلوة فهجرت منها ولحب من اتى ذاك السرابا

يريد بقوله فاني مبغض منك الشبابا اي قد عرفت وانصرفت عن الشغف بالنساء وهواهن فما ابالي بشبابهن ولا كبرهن وهما عندي سيان وما الاعراض عنه يدلك على البيت الاخير

ولـــه من جملة قصيده

وقالوا الشيب زار فقلت اهلا بنور ذوائب الغصن الرطيب
ولم ار قبل وسمك لي محبا فيبعدني بياضك عن حبيبي
ولا ستر الشباب علي عيبا فاجزع ان ينم على عيوبي
ولم اذمم طلوعك بي لشيء سوى قرب الطلوع الى شعوب

اما تشبيه الشيب في بياضه بالنور فهو طريق مهيع لاحب في الشعر كثيرا وقد نبهنا فيما مضى من شعر البحتري على شي منه وان كان هذا المعنى اكثر ان يحصى فاما البيت الذي اوله ولم ار قبل وسمك لي محبا فتشبيهه قول البحتري

اعاتك ما كان الشباب مقربي اليك فالحي الشيب اذ كان مبعدي

وقوله ولا ستر الشباب علي عيبا البيت في غاية حسن المعنى واللفظ وكانه غريب لاني لا اعرف الى الان نظيره

ولـــه من جمله قصيده

فكيف بالعيش الرطيب بعدما حط المشيب رحله في شعري
سواد راسي لم يسود ناظري فانه مذ زال اقذى بصري

ما كان اضوا ذلك الليل على سواد عطفيه ولما يقمر
عم الفتى شبابه وانما اونه الشيب انقضاء العمر
نظير قوله رحمه الله   ما كان اضوى ذلك الليل من شعري
صدت وقاصدها الاعلى باسم الذي صبغ فوديها على راسي
اجيب ليها بليل لا يضيء لها الا اذا لم تسر فيه بمقباس
والمعنى في بيتي مشبه للمعنى في بيته رحمه الله وان كان بينهما الفرق
ما اذا تؤمل عرف ولا بد من الاشارة الى بعض ما فيه
قوله رحمه الله

ما كان اضوا ذلك الليل على سواد عطفيه ولما يقمر

انما يفيد الاخبار عن ضوءه وان لم يكن مقمرا ولا يفيد انه اذا
كان مقمرا لا يكون مضيئا لانه غير ممتنع ان يكون مضيئا
على الحالين والبيت الذي لي يفيد انه لا يضيء لهذه المرأة
الا اذا لم يكن فيه مقباس فافاد نفي اضاءته لها الا مع الظلام

وفقد الانوار كلها. وهذا هو المعنى المقصود الذي
يخالف العادة ويقتضي العجب وايضا فان البيت الذي تضمن
انه لا يضيء لهذه الغانية الا اذا لم يكن فيه مقباس قد
تضمن تحقيقا شديدا لان هذه الحال تخص الغانيات
اللواتي يكرهن الشيب وينفرن منه والبيت الاخر يتضمن
الاطلاق للخبر عن اضاءة الليل من غير اقمار والاطلاق على
على ظاهره لا يصح لان سواد الشعر المشبه بسواد الليل
يضيء في اعين كل الناس اذا كان فيه الشيب المشبه بلون
القمر وانما لا يضيء في اعين النساء خاصة لنفورهن عن
الشيب فلا بد من ان يريد بقوله ما كان اضوا ذلك الليل عند
النساء وان حذف لضيق الكلام وضرورة الشعر فيما لا
حذف فيه ولفظه مطابق للمعنى المقصود اولى

وله من جملة قصيدة

لا تاخذيني بالمشيب فانه تفويف ذي الايام لا تفويفي

لو استطيع لصوت عن برده ورميت شمس نهاره بكسوف

كان الشباب دجنة فرقت عن ضوء لاحسن ولا مالوف

ولبن تعجل بالنصول لخلفه درجات سوق للمنون عنيف

وله وهو ابتدا قصيده

اعذرا يا زمان في الشباب اصاب بذا لقد عظم المصاب

وما جزعي لان غرب التصابي وحلق عن مفارقي الغراب

فقبل الشيب اسلفت الغواني قلى واما لي عنها اجتناب

عففت عن الحسان فلم يرعني المشيب ولم يرق في الشباب

معنى هذه الابيات توافق معنى البيت الذي ذكرناه له رحمه الله وهو

ولم ار قبل وسمك لي محبا يبعدني بما ضل عن حبيبي

وتخالف ايضا معنى قول البحتري

اعائبة ان الشباب مغرى اليك كما حل المشيب اذا ان معدى

لان بيت البحتري انما تضمن انه كان في ايام الشباب

مقضى بين الغواني محروما وهاهن فلم يزده الشيب شيبا ولا

35

نفسه. وهذه الابيات تنطق بانه عف في شبابه وتنزه عن

الغواني انفة وصيانة فلا اظلامه له من الشيب وهذه علامة

وسجية   وله من جملة قصيده

فليت عنين بت احسبها ماعز بين الورود والقرب

اني ضما الى المشيب ومن يج قليلا من الردى يشب

وان يرد طالع البياض اقل يا ليت ليل الشباب لم يغب

وله وهي قطعه مفردة

عجلت يا شيب على مفرقي واي عذر لك ان تعجلا

ولم اقدمت على عارض ما استوفى السعر ولا استكملا

لست اري العشرين لي حجة من طارق الشيب اذا اقبلا

فالان نسيان ابن ام الصبا ومن يسدى النعم الاطولا

يا زائرا ما جاء حتى مضى وعارضا ما غام حتى انجلى

وما راى الراؤون من قبلها زرعا دوى من قبل ان يبقلا

ليت سوادا جاءني اخرا وذي بياض كان لي اولا

فليت صبحاً ساءني ضوؤه زال وبقى ليله والا ليلا
بادياً بالاصوح فيانه فآن للذابل ان يختلا
حط براسي يقفاً ابيضاً كاما حط به منصلا
هذا ولم اعد مجال الصبي فكيف من جاوز او او غلا
من خوفه كنت اهاب السرى شحاً على وجهي ان يبذلا
فليتني كنت تسربلته في طلب العز ونيل العلى
فالوادع القاعد مزري به من قطع الليل وجاب الفلا
فقد ان شعري بما يدعي نزوله بي قبل ان ينزلا
فان يحميني ببيضاته ان اذنب القول وان ابطلا
لعذولي اليوم غدا صامتاً كفاني الشيب وان اعذلا
حسبت به نقصاً ومن لم يجد الا الردى اذعن واستقبلا
لم يلق من دونه له مصرفاً ولم اجد من دونه موئلا

قوله بازابرا ماجاحي نبض والبيت الذي بعده والبيان اللاذ

قبلهما من احسن ما وصفه بعجل الشيب وبنزوله قبل لوانه **واما قوله** ليت بياضاً جاني اخراً بدي بياض كان لي اولا فانما يريد بالبياض الاخر الشيب والبياض الاول حال المروده وابيضاض العارضين لفقد الشعر منهما ن **وقوله** وليت صبحاً ساءني ضوؤه في غاية الطبع والجلاده ومعنى يختلى اي يقطع واصله قطع الخلا الذي هو الحشيش **وقوله** حط براسي يقفاً ابيضاً تشبيه للشيب بالعهن في لونه ووقعه

ولــه من جمله قصيده

الان لما اعتم بالشيب مفرقي وحلى الدجى عن لمتي لمعانها
وجدي صرف الزمان ووقرت عن الحلم نفسي وانقضى نزوانها
يروم العدى ان تستلان حميتي وقبلهم اعيا علي حرانها

وهذه ابيات لها جزالة وقوة وبلاغة **وله من ابيات قصيده**

الى كم ذا التردد في التصابي وفجر الشيب عندي قد اضاء
فيا عيدي العيوب بعي سواد ملون على مفارقها غطاء

شبابي إن لم أحسنت بوكما فقد ظلم الشباب وقد أساء
فلطخ بقوله وجه الشيب عندي فقد أضاء والبيت الثاني جيد المعنى

وله من أبيات قصيدة

وهذا وما ابيض السواد فكيف بي إذا الشيب أمسى ليله من عملي
ولكن أرى أن الشباب وسيلة لمثلي إلى سبل الخدور النواعم

وله من أبيات قصيدة

فالآن إذ بدا المشيب بشيبتي بيد القذى وأقام من أودي
ودرت عن سير الفروج محاربًا وعسا على بعض السنين عمودي
ولبست في الصغر العلى مستبدلًا أطواقها بتمائم المولود
وصففت في أيدي الخلائف زاهيًا لهم بدر يواقيت وعقود
وحللت عندهم محل المجتبى ونزلت منهم منزل المودود
فغدا العدو يريد من فضائلي هيهات لجم فول بالجلمود

ولهذه الأبيات من الاطراد والاتساق وجودة السبك
وصحة النسج ما يستغنى به عن شهادة لها وبينة عليها

وله من جملة قصيدة

أراشك فعلك في فراق أحبتي فليسوء فعلك في عذاري أقبح

31

ضوء تشعشع في سواد ذوائبي لا أستضيء به ولا أستصبح
بعث الشباب به على مفرقي له بيع العليم بأنه لا يربح

فهذه أبيات محكمة في القلوب وتحكيمها في الطبع وسلامة
اللفظ وصحة النسج   وله من أبيات قصيدة

قل للعواذل مهلًا أنا لمشيب غدا لعذر واعقالًا لذا القلب الذي طمحا
هيهات أجمح مع شيبي إلى غزل والشيب أعذل من لامني ولحا

وله من أبيات قصيدة

قالوا المشيب فعم صباحًا بالنهى واعقر مراحل للطروق الزائر
لو دام لي ود الأوانس لم أبل بطلوع شيب وابيضاض غدائر
لكن شيب الرأس إن لم يكن طالعًا عندي فوصل البيض أول غادر
وإذا على عهد الشباب وطيبه والغض من ورق الشباب الناضر
والله له ما كان غير زجته فلصت صبابتها كظل الطائر
شيع وعين وإن اصغرن شيبتي وأن عودي للزمان الكاسر
كأن المشيب وراء ظل فالص لاح الصبي وأمام عمر قاصر

وارى المنايا ان رأت بك شيبة جعلتك مرمى نبلها المتواتر
تعشو الى ضوء المشيب فتهتدي وتضل في ليل الشباب الغابر
لو يفتدى ذلك السواد فديته بسواد عيني بل سواد ضمائري
ابياض راس واسوداد مطالب صبرًا على حكم الزمان الجائر
اذ اصبحت عنه الخدود وطالما عطفت له بلواحظ ونواظر
ولقد يكون وما له من عاذل فاليوم عاد وما له من عاذر
كان السواد سواد عين حبيبه فغدا البياض بياض طرف الناظر
لم يلق في الشيب الا انه عذر الملول وحجة للغادر

اما قوله واعقر مراحك للطروق اذا ابرا ما نعقر له الانعام والشيب اذا زار فانما يعقر له الطرب والمراح والارن والنشاط واما البيت الثالث من هذه الابيات الذي اوله لئن شنت الراس والبيت الثاني عشر الذي اوله اذ اصبحت عنه الخدود فمعناهما يكثر ويتكرر في الشعر لان الطريق المسلوك في ذم الشيب هو من حيث نفور النساء منه واعراضهن عنه وتقطعهن حبل وصل صاحبه وفي هذا من الشعر ما لا يحصى والعبارات عنه مختلفة في اختصار واطالة وضعف وجزالة وطبع وتكلف ومضى فيما اخرجته من شعري كثيرا بالفاظ مختلفة ومواقع متباينة وانت ترى ذلك اذا انتهيت اليه وقد احسن صخر بن حبناء التميمي في قوله

فان أك بدلت البياض وانكرت معالمه مني العيون اللوامح
فقد يستهد المرء حالا بحاله وقد يستبين الحق والفلج حاج
وما شان عرضي من فراق علمته ولا ارتب في الخطوب الفوادح

وللبحتري

بان الشباب وفات الغانيات لقد ولى الشباب واودى عصره الخالي
قد كن يفزعن من صرمي ومقليتي فاليوم يهوان من وصلي وادلالي

ولبعض العرب

يا جمل ازنب سربال الشباب فما يبقى جديد من الدنيا الا خلق
صدت امامة لما جئت زائرها عني بطرفه انسانها غرق

وراعها الشيب في راسي فقلت لها كذاك يصفر بعد الخضرة الورق

وقال ابن الرومي وجوّد

كبرت وفي خمس وعشرين مكبر وشيب فاجمال المها منك نفر
اذا ما رأتك البيض صدت وربما غدون وطرف السيف نحوك اصور
وما ظلمتك الغانيات بصدها وان كان من احكامها ما تجور ١٠
اعر طرفك المرآة وانظر فان نبا بعينيك عنك الشيب فالبيض اعذر
اذا شنئت عين الفتى وجه نفسه فعين سواه بالشناءة اجدر

فاما قوله في الابيات التي نحن في الكلام على معناها فلصت
صبابتها كظل الطاير كانما يريد سرعة انتقاله وزواله
لان ظل الطاير وشيك الزوال متدارك الانتقال واما قوله
وارى المنايا ان رأت بك شيبة والبيت الذي بعده واوله
لعشوا الى ضوء المشيب فتهتدي فاني رأيت هذا المعنى
لابن الرومي في قطعة له وما رايته لاحد قبله ويقوى في الظن
انه سبق اليه والابيات

كفى بسراج الشيب في الراس هاديا الى من اضلته المنايا لياليا
امن بعد ابداء المشيب مقاتلي لرامي المنايا تحسبيني ناجيا
غدا الدهر يرميني فتدنو سهامه لشخصي اخلق ان يصبن سواديا
وكان كرامي الليل يرمي ولا يرى فلما اضاء الشيب شخصي رمانيا

ولقد احسن في البيت الاخير كل الاحسان لان المعنى الذي قصده تناهى
فيه وانتهى الى الغاية عنده وساعده اللفظ وحسن العبارة
فلم يبق عذر في قبول القلوب له وعلو قيمته ومن شان
ابن الرومي ان يورد المعنى ثم ياخذ في شرحه في بيت بعد اخر
وايضاحه وتشعيبه وتفريعه فربما اخفق واكدى
وربما اصاب فاصمى لان الشعر انما تحمد فيه الاشارة
والاختصار والايماء الى الاغراض وحذف فضول القول
وفي هذه الابيات قد اتفق له انه لما كرر المعنى واعاده
وابداه خلص في البيت الاخير وصفا وعذب مذاقه لانه في

اول البيت قد اشار الى هذا المعنى الموجود في اخرها وفي
البيت الثاني ايضا فقد اعاد ذلك وفي البيت الثالث قد الم
بالمعنى بعض الالمام لانه ذكر ان سهام الدهر تقرب منه واخلق
ان تصيب سواده يعني شخصه ولم يذكر العلة في اصابتها له في
اضاءة المشيب لمقاتله وهدايتها الى مراميه كما ذكره في
البيتين الاولين وطبق المفصل في البيت الرابع لانه جعل
الدهر في زمان الشباب يرميه بسهامه وهو لا يراه لان
سواد شبابه ساتر له ه ومعنى كرامي الليل الرامي في
الليل فالليل ظرف للرمي وليس بمفعول صحيح ثم قال فلما اضا
الشيب شخصي زماني ه ومعنى زمانيا اصابني ثم قال الشاعر
ولما رمى شخصي رميت سواده ولا بد ان يرمى سواد الذي يرمي

وفي شعري ما يشبه هذا المعنى وهو

ولاح بفرقي قبس منذر دل على مقاتلي المنونا

فاما قوله رحمه الله في الابيات ولقد بلوت وماله من عاذل
فمعناه متكرر في الشعر مترددوا الشباب ابدا يوصف بان
صاحبه معذور مغتفر الجرم وذو الشيب مؤاخذ بما لم يجنه
مجترم عليه وقوله في اخر الابيات عذر الملول وحجة للغادر
من لطيف القول وسليم النسج ولـه من ابيات قصيدة

لهفي لايام الشباب على بيض اطرافهن وظلهن الابرد
ايام انفض للمراح ذوائبي واروح بين معذل ومفند

وفيها

وبياض ما بيني وبين احبتي يوم اللقاء من العذار الاسود

ولـه من ابيات قصيدة

ولم يبق لي في الاعين النجل طربة ولا ارب عند الشباب الذي مضى
محا اليوم من ظل الشبيبة مفرقي وابدل مسود العذار مبيضا

ولـه من جملة قصيدة

ليالي برود الشباب مني غصن رطيب المجاذب
وقد حل البيض من لمى بطفل الانامل بض البنان
افالان لما اضاء المشيب فامسى الصبا نائيا من عناني

وقد صقل السيف بعد الصدى وبان لظى النار بعد الدخان
يرد الزمان على الهوى ويطمع في صفوه من جنان
أما تشبيه السواد في الشعر بالصدا وبياض السيف بالصقال
والجلاء فمذهب معروف متداول لكن الغريب المليح التشبيه
سواد الشباب بالدخان وبياض المشيب ببياض النار
وله في ذم الشيب وهي قطعة مفردة
خذ اليوم كفي للمليح على الذي فلم يبق للاطراب عندي ولا اثر عذر
فقد كنت لا اعطي العواذل طاعة واعذر نفسي في التصابي ولا
تقضت لبانات الصبى وتصرمت فلا نهي للاحي علي ولا امر
اخي
ولا حسنت تصوت بطالتي نزوعا ولا صغر اللذة الكبر
ولا امترى ان الشباب هو الغنى وان قل مال والمشيب هو الفقر
وله ايضا في ذم الشيب وهي قطعة مفردة
يا عذولي قد غضضت جماحي فاذهبا ابن شئتما بزمامي
بعد لوثي عمامة الشيب اخال بردي بطالة وغرام

خفضت نوة الشباب وحالا لهم بين الحشا وبين الفؤاد
ايها الصبح زل ذميما فما اظلم يومي من بعد ذاك الظلام
ارمضت شمسك المنيرة فودي فمن لي بظل ذاك الغمام
غالطوني عن المشيب وقالوا لا ترع انه جلاء الحسام
قلت ما امن من على الراس منه صارم الحد في يد الايام
اذني الى العواذ يستبي ذنب ذيب الغضا الى الآرام
كن بديلا قبله من وداعي فبدا لي بعده من سلامي
ما احسن هذه الابيات وارطب اطرافها واعذب سلافها
وله وهي قطعة مفردة
الجام للمشيب ثني جماحي وذللني لا باحي وارضا
اقر بلبسه ولقد ارى اجاجره اباه وامتعاضا
تعوضت الوقار من التصابي لبئس على المعوض ما استعاضا
لوى عني الخدود من الغواني وقطع دوني الحدق المراضا
فصار بياضه عندي سوادا وكان سواده عندي بياضا

اراد بالبيت الاخير ان بياض الشيب صار سوادًا لمقلته
همًّا وحزنًا وانه سواد ما بينه وبين حاجبيه والظلم ما كان مشرقًا
من وجهه وكان سواده بياضًا يعني الصدر من هذه
الاحوال   وله من قصيده

شيبٌ وما حزن المليك نزلْ   نزول ضيف بمحل ذي علل
يصرف عنه السمع ارائي الحمل   ولا يقول انا تاح جهل
لانه لما طرا على عجلْ   سواد ذنبت عمه بياض ظل
نحي بالهم ويمضي بالاجلْ   فاده ان نحل وواها ان رحل
ابدل من الشباب لا بدل   شعارنا دق الادم ونغل

هذه الابيات حظ جزيل من قوة وفصاحة وقد قالت
الشعراء في تعجيل الشيب قبل وانه فاكثرت والمراعي
في المعاني المتداولة والمتناقلة المحوية وقد قال ابن الرومي

اري يجزا الانس مني نزاع الطيش ما كنت عنها سهما   ما

واي يفرع راسي المشيب ولم افرغ تليثي عا   ما
قوله الطيش نا لست عنها سهاما وقد كرره شعفا به في قوله
الصد
اقول وقد مرت ظبيتان قصدنا وراعهما مني مفارق شيب
الطيش ما كانت سهامي عنهما تصدان عني ازدا العجيب
ومن جيد القول في التلهف على الشباب والتاسف على
فراقه قول ابن الرومي

لا تلح من يبكي شبيبته   الا اذا لم يبكها بدم
عيب الشبيبة غول سكرتها   مقدار ما فيها من النعم
لسنا نراها حق رؤيتها   الا زمان الشيب والهرم
كالشمس لا تبدو فضيلتها   حتى تغشى الارض بالظلم
ولرب شيء لا يبينه   وجدانه الا مع العدم   وله من قصيده

دع للمشيب ذمه   انه عندي يدا
احق من فا الهوى   مذللا معبدا

لئن هوى كان أرى لون عذارى أسودا   مرّ البياض عليه شائباً

ما أخلق البرد فلم يبل لي وكدا   معنى البيت الأخير مليح جداً

لأن الاستبدال على العادة إنما يكون مع الإخلاق والرثاثة

ولا معنى لإبدال المخلق وتجديده ولـه وهو ابتداء قصيده

ترى غرب أيام ترجي صعابها   وتسأل عن ذي لمة ما أشابها

وهل سبب للشيب من بعد هذه   فذلك يا لون المشيب وداها

شربنا من الأيام كأساً مريرة   تدار بأيديها شرابها

وفيها

خطوب بعفو الشيب في كل لمّة   وينسين أيام الصبى ولعابها

ولـه من قطعه مفرده

صدت وما كان لها الصدود   وأزور عني طرفها والجيد

يقول لما الخلق الجديد   إذا البجال ذلك الوليد

البجال الشيخ الكبير

ما ابدك الكهل الأملود   ريان من ماء الصبى يميد

تحبه لحظ العذارى الغيد   غدا الغزال اليوم وهو سيد

قلت لغمرات الهوى أبيد   مضى حبيب قل ما يعود

لنشدها أو جحي الفقيد   أياماً بعد البياض سود

ولـه وهي قطعة مفردة

قال لي عند ملتقى الركب عمرو   قوّم العود بعدنا فأبانا

ابن ذاك الصبى وذاك التصابي   سبقا الطالب المجد وفاتا

من قضى عقبه الليالي بغدوا   راجعاً يطلب الصبى هيهاتا

لم يزل والمشيب عنه قريب   باغياً للشباب حتى ماتا

لست تبكي الأحياء فاستكد اليوم   من الدمع واندب الأمواتا

ولـه وهي قطعة مفردة

لنا هفق لما أن رأين مفارقي   بياضاً كأن الشيب عندي من البدع

وقلن عهدنا فوق عاتق ذا الفتى   رداء من الحول الدجوجي فما صنع

ولما رأين غصناً عيب منه صقاله   وكان جلياً للقلوب على الطمع

وقالوا علام ريل للشيب أسه   فبعداً لرأس إنه الشيب والنزع

النجع

تسلى الغواني عنه من بعد صبوة   وما العذر إلا البين المستمر مض

ولن يحوق السجو فإذا بدا   فمن يرفع الحوف وإذا طلع

ولـه وهو ابتداء قصيده

الهائم عبارنة البرج لمر الليل إلى الأبرع   أنت اعتب الشيب في مفرقي مع اللما فطلى أو دع

ولـه وهي قطعه مفرده

أأميم إن أخاك غض جماحه بيض طردن عن الذوائب سودا
عفت الجديد إذا مررن على الفتى مرّ الفوارج لم يدع جديدا
قد كان قبلك للحسان طريدة فاليوم راح عن الحسان طريدا
جولن عنه نواظرا مزورة نظر القلى ولوين عنه خدودا
لسند المضاني بعدما ضاع الصبى عرضا لعمرك يا أميم نفيدا

وله وهي قطعه مفرده

تمل من التصابي قبل تمسي ولا أم صباك ولا قريب
سواد الرأس سلم للتصابي وبين البيض والبيض الحروب
ودلال الشباب على الغواني فادر قبل يعزلك المشيب

هذا المصراع من البيت الأخير مليح اللفظ وله من جملة قصيدة

راحت تعجب من شيب ألم به وغادرا شبيه الثغام الأسف
ولا تزال الهموم النفس طارقة رسل البياض إلى الفودين تختلف
إن المليث في السبع التوين به عن الصبى فهو مزوّر ومنعطف

قوله وغادرا شبيه الثغام مر والأسف من أحسن ما وأبلغها عن هذا المعنى

وله من أبيات قصيده

فيا حادي السنين قف المطايا فقد علي طريق الأربعينا
فإن الرأس بعدك صوحته بوارح شيبه فغدا جديبا
وكان سواده عند الغواني يعدن إلى مطالعه العيونا
أنا أجرها فارع في المعالي وبعض القوم يحسبني عبينا
أهان الشيب ما أعززت منه وعز على العقائل أن يهونا
جنون شبيبة ووقار شيب خذا عني النهى ودعا الجنونا

وله من قصيده

وطارق للشيب حييته سلام لا الراضي ولا الجاذل
أحرى على عودي ثقاف النهى جري الثقافين على الذابل
وأعفى عنقي ما جنى له لا در در الشيب من نازل
فاليوم لا زور ولا طربة نام رقيبي وصحا عاذلي

وله من قصيده

ورأت وخط بياض طارق وخط الثغام فقلن من وخط
ما لهن ينكر مع هذا الشيخ وفعال الشيب بالجعد القطط

وله وهو ابتدا قصيده

مرتنا فيّ وذنبي عندها الكبر إن البياض لذنب الناس مغتفر
رأت بياضك مسودا مطالعه ما فيه للحب لا عين ولا أثر
وأي ذنب للون راق منظره إذ لا لاختلاف الصبغة النظر

وما عليك ونفسي فيك واحدة اذا تلون في الوانه الشعر
انساك طول نهار الشيب اخره وكل ليل شباب غبه القصر
ان السواد على لذاته لعمى كما البياض على علاته بصر
البيض اوفى وابقى لي مصاحبة والسود مستورات للنوى غدر
لست البهيم واعلاق الهوى جدد فاطلعتك حجول الشيب والغرر
وليس كل ظلام دام غيهبه يسر خابطه ان يطلع القمر
يسلنه الغواني الناعزات ممن الشيب الكابرات عن
صاحبه بان طوله ما اطال عهدا ولا غير ودا طريق
مسلوك وجدد مالوف وسياتي في شعري من هذا
المعنى ما يوقف عليه في موضعه ومن جملته قولي
وما ضرني في العهد غير مبدل تبدل شرخي طالما تستبيني
وقولي
وان كنت بدلت لونا فما تبدلت حب عهدي
وقولي
ولا لوم يوما من تغير صبغتي اذا لم يبدل الا الشعر
فاما قوله رحمه الله انساك طول نهار الشيب اخره
فمعناه ان الشيب لامتداد ايامه ينسي ذكر ما قبله
ومصابره الى حين الموت والفناء ومن مليح اللفظ قوله

وكل ليل شباب غبه القصر واما قوله البيض اوفى
وابقى لي مصاحبة فنظيره قول الشاعر
والشيب ان يظهر فان وراءه عمرا يكون خلاله متنفس
ومن شعري قوله
عمر الشباب قصير لا بقاء له والعمر في الشيب يا اسماء ممدود
وله من قصيدة
شيع ما القطر الدوي ذاك الشباب الراحل
ما سرني من بعده الاعواض والبدائل
ما ضر ذي الايام لو ان البياض الناصل
كل حبيب ابدا ايامه قلائل
ظل وكم يبقى على فودك ظل زائل
لقد راى بعارضيك ما احب العاذل
واسترجعت منك اللحاظ الخرد العقائل
واغمدت عنك نصول الاعين القواتل
فلا الدمالج تقعقع ولا الخلاخل جل

فإن وعدن فاعلم أن العزم ماطل
ووعدي الشبيبة بالوصل عذر باطل

وله من قصيدة

مالقاني من عدوي كلقائي من مشيبي . هو قد بادا أضاءت فوق فودي عيوبي
وبياض هو عند البيض من شر ذنوبي

يمكن أن يكون معنى قوله رضي الله عنه أضاءت فوق فودي عيوبي أن عيوبي كانت مستورة بالشباب معرضًا عن ذكرها والتفريع بها لوسيلة الشباب وفضيلة فلما مضى ظهر منها ما كان خافيًا ويمكن غير هذا الوجه وهو أنه لم يرد أن عيبًا له كان كامنًا مستورًا فظهر بل يريد أنه بالمشيب تحلت له العيوب ونكثت عليه فاسبغت عنه وأرضوا المشيب هو الذي كان السبب فيها ويمكن وجه ثالث وهو أن يريد بالعيوب نفس المشيب لا شيئًا سواه وأنه لما أضاء برأسه وعيبه كان مظهره وناشره في رأسه كأنه مظهر لعيوبه ومعلن لها

وله وهو ابتدا قصيدة

ما للبياض والشعر ما كل بيض لغرر . صفقة غبني في الهوى بيع بهيم بأغر
صغرنه في أعين البيض بياض وكبر . لولا الشباب ما نهى على المها ولا أمر
ما كان أغفل الليل إذا المغرق عن ضوء القمر . قد كان صبح ليله أم صبح ينتظر
وإنها وأهل يعني المعنى بما عين لا أثر . يا حبذا ضيفك من مفارق فإن غدر
أبرع الداجي إلى الناصع فنفر . هيهات دهم الإبل إلا بذنوا ذيب الحمر

من بدايع القول ومليحه قوله رحمه الله ما كل بيض لغرر ومثل ذلك قولهم ما كل بيضاء شحمة لأن بياض اللون قد يشترك فيه الممدوح والمذموم والمراد والمكروه والبيت التالي معناه أن من باع الشباب وهو البهيم بالمشيب وهو الأغر فقد غبن وموضع العجب أن الأغر أفضل وأنفس من البهيم فكيف انعكس ذلك في الشباب والمشيب ونظير هذا المعنى من شعري قولي

أنا البهيم من الشباب الذي فلعدني أوضاحه في حجوله

فاما قوله رحمه الله   صغره في اعين البيض ناض وكبر

من العجب ان يصغر الكبر ونظير هذا البيت قول البحتري

صغر قدري في الغانيات وما صغر صبا تصغيره كبره

وأما قوله ما كان اغنى ليل ذا المفرق فالليل لا يستغني

عن القمر بل يفتقر اليه اشد فقر لان المشبه بالليل من

الشباب مستغن عن المشبه بالقمر من ضوء المشيب

وهذا المعنى يمضي كثيرا في الشعر وسيجيء منه في شعري ما اذكره

في موضعه بمشية الله وقوله رحمه الله يا عين لا تؤمن

مطبوع اللفظ ومقبوله وللقائل ان يقول في البيت الذي هو

يا حبذا ضيفك من مفارق وان عذراي عذر يلحق بالشباب

وهو لم يفارق مختارا بل مضطرا والجواب عنه ان العذر

بالفراق انما يكون متى كان من غير سبب اوجب المفارقة

ومع الايثار للمواصلة والمقام وكذا الشباب لما تعجل

قبل حينه واوان فراقه ومن غير سبب من ذي الشباب

اوجب ذلك نسب اليه الغدر توسعا واستعارة

وتشبيها   ولـــــه من قصيدة

يا قاتل الله ريعان الشباب وما خلى علي من الاشجان والعلل

وروضة من سواد الراس حالية كان المشيب النهار ابد الاجل

قالوا الخضاب لود البيض مطمعة فرض طالب ود البيض بالحيل

لقوله رحمه الله كان المشيب النهار ابد الاجل من الاحسان

والعذوبة ما شاء   ولـــــه من قصيدة

اليك فقد قلصت شرتي لعهد البياض قلوص الضلال

وبدلت مما يروق الحسان من منظر ما يروع الغوالي

سواد تجلل نور البياض علوق الضرام برأس الذبال

ومر على الراس مر الغمام قليل المقام سريع الزيال

ولـــه من قصيدة

فلو كان للشيب الا انه اخذ الغي واعطى الرشد

طارق قوم عودي بالنهى بعدما استغم من طول الاود
وفي اليوم جوجا راسه جار ما جار طويلاً وقصد
ظل لماع طلاه تأرج بعدما ابرق حينا ورعد

وله في ذم الشيب وهي قطعة مفرده

ليس على الشيب للغواني وان تحملن من قرار
كانما البيض من لذاى ضرائر البيض في عذاري
لو رحمت هذه ما رضي تحملت تلك عن دياري
اربن في راسي الليالي بشر ضيآء لشر نار
تبدي الخفيات من عيوبي وتظهر السر من عذاري
اعدوا بها اليوم للغواني اعدى من السب للضواري
وكل طرف الى طرفي اذ ليل راسي بلا دراري
مذ اضا المشيب فودي يورع النور عن مزاري
مثل الخيالات زرن ليلاً وزلن مع طالع النهار
اما تشبيه النسا اللواتي مررن مع سواد الشباب

ويهجرن مع باض المشيب ما الخيال الذي يزور ليلاً
ويهجر نهاراً من مليح التشبيه وغريبه وله من قصيده

ولم يلبث غربان الليالي لعبقا ان اطرن غراب راسي
ومازال الزمان يحيف حتى قرعن له على مضض لباسي
نضا عني السواد بلا مرادي واعطاني البياض بلا التماس
اتوقع به الظبا وقد اراني زميلاً للغزال الى الكناس

ومنها

ولبعضي المشيب الى الذي قد هونني لقاك على اناسي
خذوا اما زمني ولقد اراني قليلاً ما يلين لكم شماسي
البس لي لتلبس انتسابي ولم ابلغ الى القلل الرواسي
ممر دل المشيب على عذاري فاجر الذبول الى غراسي

انقضى ما احرجته لاخي رحمه الله
وهذا ابتدا ما انتزعته من ديوان شعري
في نسيب

لي من تصدى اوليها لو لم يعاجله النوى لتحيرا

جزعت لوخطات المشيب وانما بلغ الشباب مدى الكمال فنورا
والشيب ان نزلت فيه موارد لا بد يوردها الفتى ان عمرا
يبيض بعد سواده الشعر الذي ان لم يزره الشيب واراه الثرى
زمن لشبيبته لا عدته تحية وسقاك منهمر الحيا ما استغزرا
فلطالما اضحى ردائي ساحبا في ظلك الوافي وعودي اخضرا
ايام يرمقني الغزال اذا رنا شغفا ويطرقني الخيال اذا سرى

معنى بلغ الشباب مدى الكمال فنورا انه تكامل وانتهى الى الغاية والزرع اذا تكامل وبلغ غايته نور وفي هذا الموضع زيادة على ما مضى كثيرا في الشعر من تشبيه الشيب بالنور لان ذاك انما يفيد تشبيهه به في لونه وهذا البيت الذي نختص به يريد مع انه يشبهه في اللون ان في الشيب معنى النور في الظهور والطلوع عند بلوغ الغاية وانما اردت تسلية من جزع من مشيبي من النساء بان الشيب لا بد منه عند الانتهاء الى غايته كما لا بد من النور في هذه الحال ولي ايضا

فقد ذكرتها فيما خرجته من شعري مثل هذا بعينه وهو

ورأت بياضا في نواحي لمتي ما كان فيها في الزمان السالف
مثل الثغام تلاحقت انواره عمدا لياخذه بنان القاطف

والثغام نبت ابيض تشبه العرب به الشيب فاما البيتان التاليان للبيت الاول فمعناهما واضح لان من عمر شاب والشعر الاسود لا بد من تشييب مع البقاء او ما للتراب عند الفناء وقد تكررت هذه القسمة في كثير من شعري وانا اذكر ذلك في موضعه ومن جملة ما يشبه ذلك لي

من عاش لم تجن عليه نوب شيبا نواحي راسه او هرما

وقولي

ومن ضل عن ايدي الردى شاب مفرقا

وهذه القسمة اصح من قسمة البحتري في قوله

ولا بد من ترك احدى اثنتين اما الشباب واما العمر

لان تلك القسمة اشتبهت على الامدي حتى تكلم فيها بما بينا الزلل منه فيه

فان قيل كيف تنجح قسمتكم بانه لابد من الشيب مع طول
العمر وفي الناس من لا يشيب على وجه ولا سبب والجواب
عن ذلك ان في الناس من تأخر شيبه ولابد مع استمرار
بقايه من بياض سواد شعره ولو كان منهم من لا يشيب مع
البقاء الاطول وليس الامر كذلك لكانت القسمة صحيحة ومحموله
على انه لابد مع طول العمر من الشيب او من ورود زمانه اذا وقد
ورد فهو كالوارد الواقع وان عاق عنه في بعض الناس عايق
وهذا السوال لازم لي في قولي شاب نواحي راسه او هرما
لانني جعلت من عاش من شيب او هرم ه   فان قيل جزع النساء
انما هو من الشيب وانما يسلين عنه بانه لابد مع العمر من
طوله واذا لم يكن منه بد فلا تعزيه به قلنا انما جزع النساء
من الشيب لما فيه من ضعف القوة وكلال الجوارح واطفاء
السورة والكبر والهرم يكون معهما ذلك كله وان لم يظهر

شيب الشعر فقد بان انه لابد مما جزع النساء منه ولي
من قصيدة اولها   أظل من جدوى الاحبة قانطا
وغر الثنايا رقهن بلمتي فواعدتها زورا من الشيب واخطا
سواد يغرني وان كنت مربيا ويبسط من عذري وان كنت غالطا
ويسكنني حب القلوب وطالما الف على ضمي اكفا سبايطا
معنى هذا البيت الاول ان الخفيات اللواتي وصفتهن بوضوح
الثنايا راين اللمة السوداء فغبطن بها واغتبطن منها بتعللن
واستشفين بان واعدنها ان الشباب الذي يمحي حسنها ويذهب
بهجتها ومعنى البيت الثاني يجي كثيرا في الشعر وان الشباب
معذور الجناية مغتفر الذنب والشيب بالضد   ولي
من قصيده اولها   حييت ما اربع اللوى من مربع
شعر شفيعي في الحسان سواده حتى اذا ما ابيض لم يتشفع
عوضت قسرا من غراب مفارقي وهي العشية بالغراب الابقع

لونه نراه ناصعا حتى اذا خلف الشباب فليس بالمستنصع
من العجب ان تغير قول الشفاعة ونجح الوسيلة بتغير
الصبغة وهذا معنى محض الشيب فاما البيت الاخر فغريب
المعنى لان لون البياض انفع الالوان واشرفها واحسنها هذا
في الجملة واذا كان البياض بدلا من الشباب كان مستقبحا
مستهجنا منفورا عنه متباعدا منه وهذا من عجايب لون
الشيب ومن لطيف ما نبه عليه واشير اليه وتشبيه
الشعر الذي ابيض بعضه وبقي اسود بالغراب الابقع
من غريب التشبيه لان الشعراء قد شبهت الشباب بالغراب
والغداف واكثر من ذلك وما ورد تشبيه الشيب الممتزج
بالسواد بالغراب الابقع فان قيل اذا شبهوا الشباب
بالغراب والغداف ففي هذا التشبيه تشبيه المختلط بالغراب
الابقع قلنا هو كذلك الا ان هذا لا يدفع استغراب

هذا التشبيه وانه غير متداول مبتذل وممن سبق
الى هذا المعنى ابو حية النميري في قوله

١ زمان علي غراب غداف فطيره الشيب عني وطارا

ووجدت لبعض الاعراب ممن لا اعلم تقدمه لزمان ابي حية
او تاخره

وكانما الشيب الملم بلمتي باز اطار من الشباب غرابا

ونظير بيت الاعرابي قول ابي دلف

اري بازي المشيب اطار عني غرابا جب ذلك من غراب

ومثله لابن المعتز

وارسل الشيب في راسي ومفرقه بزاته البيض في غربانه السود

ونظيره قول ابي حية لمرين الطبري

واصبح راسي كالصخيرة اشرفت عليها عقاب ثم طار عقابها

ولي ايضا

صدت وما صدها الا على ياس مران ترى صبغ فوديها على راسي

أحبب إليها بليل لا يضيء لها إلا إذا لم تسر فيه بمقباس
والشيب داء لربات الحجال إذا رأينه وهو داء ما له آس
يا قربهن ورأسي فاحم رجل وبعدهن وشيبي ناصع عاسي
ماذا يريبك من بيضاء طالعة جاءت بحلمي وزانت بين جلاسي
وما تبدلت إلا خير ما بدل عوضت بالشيب أنوارا بأنقاس

معنى البيت الأول أنها لم تصد عنه إلا بعد يأسها من شبابه وبعينها بفوته والبيت الثاني غريب الصنعة لطيف البناء لأن الليل من شأنه أن يضيء بالأنوار والمصابيح والنجوم إلا الشباب المشبه بالليل فإنه لا يضيء لمبصره ويحبس في عينه إذا كان خاليا من ضوء المشيب ونوره ويظلم إذا طلعت أنوار المشيب وأضواؤه فيه وهذا عكس المعهود والعبارة عن فقد معاينة الشيب فيه بأنها لم تسر فيه بمقباس لا يجهل بلاغتها وحلاوتها والنقص المراد وعلى

الظاهر والمعهود الأنوار أفضل وأجمل من الأغاسق

و لي من قصيدة أولها

عل الخيلة أن تجود لعاشق
صدت وقد نظرت سواد فروعها عني وقد نظرت بياض مفارقي
وتعجبت من جنح ليل مظلم أنى رمى فيه الزمان بشارق
وسواد رأسي كان ربع أحبة رجع المشيب به طلول معاشق
يا هند إن أنكرت لون ذوائبي فيما عهدت خلائقي وطرائقي
وورا ما شنئته عينك ضلة ما شبت من خلق يسر لرائق
أو بيض شيب أم وميض بواتر قطعن عنا الغانيات علائقي
وكأن طلعة شيبة في مفرق عند الغواني ضربة من فالق
ومعيري شيب العذار وما درى أن الشباب مطية للفاسق
وتقول لو غيرت منه لونه هيهات أبدل مؤمنا بمنافق
والشيب أملا للصدور وإن نبت عن لونه في الوجه عين الرامق
وإذا الليالي لا يعين بما ملكت للمرء فهو إلى الردى من حالق

أوذنت انها لما رأت سواد شعرها وبياض شعري
ظهر لها تضادد ما بيننا وتباعده فصدت واعرضت
وتشبيه الشعر الاسود بالنجوم والشهب قد ذكرنا انه
يتردد في الشعر ومعنى البيت الثالث ان الشباب
كان للانس به كالربع المسكون الذي حلته الاحبة ولما
علاه الشيب صار كالطلول وهي الرسوم التي لا
تسكن ولا تحل وفي البيتين الرابع والخامس تسلية لمن
صدّ من النساء عن الشيب لان الخلايق معه والطرايق
كما عهدت والف وانه لا يسقط حدا ولا يعير ودا ولا
حلّ عقدا وليس يعرى عنه ما يبلغ من هذا القول ولما دان الشيب
قاطعا علايق الغواني ويا تاجا لهن حسن التشكل في
شاخه ووضعه هل هو لسيف من السيوف بواتر قطعت
علايق الحب ووصايله وانما اضيف في البيت السابع

الى الغواني ابراك حلول الشيب في الراس منزلة حلوك
الضريبة الفالقة له لان هذا حكم موقوف على الغواني
والنساء لانهن الجازعات من المشيب دون الرجال وانما
عادل النساء بين شيب الراس والضريبة الفالقة له لانه
عندهن بعد الشيب لا منفعة فيه ولا متعة به كما
لا منفعة بالراس الفليق ه ووصف الشباب في البيت
الثامن بانه مطية للفاسق من حيث الاستعانة به على
بلوغ الاغراض ونيل الاوطار ومجرى مجرى المطية الى
توصل الى البعيد الوطن ه وهذا احسن من قول ابي نواس
كان الشباب مطية الجهل وفي الناس من يرويه
مظنة بالظاء المعجمة والنون وانما تقدم عليه لان الجهل
يرجع الى الاعتقاد بالقلب وليس الشباب معونة عليه
اللهم الا ان يريد بالجهل الافعال القبيحة التي يدعو اليها الجهل

فقوله يعمى ما يدعوا إليه الجهل الذي هو الاعتقاد من
الافعال جهلاً على سبيل المجاز والاستعارة وهذا
اراد ابو نواس لا محالة والترجيح باق لانه استعمل لفظة
الجهل في غير موضعه ولان ليس كل من فعل قبيحاً
فعن جهل بقبحه بل اكثر من يرتكب القبيح يرتكبه مع العلم
بقبحه فوصف الشباب بانه مطية الفاسق اصح معنى
وابلغ لفظاً فاما وصف الخضاب بانه منافق والشباب
بانه مؤمن من غريب الوصف وبديعه ولا اعرف
نظيره لان المؤمن ظاهره وباطنه سواء والشيب
اذا لم يخضب كذلك والمنافق الذي يخالف ظاهره باطنه
والشعر المخضوب كذلك هـ واحسن ابن الرومي
في قوله يصف الخضاب بانه لا طائل فيه

اذا كنت تمحوا صبغة الله قادراً فانت على صنع الناس اقدر

ولي من قصيدة اولها الا ارقت لضوء برق او مضا

ولقد اتاني الشيب في عصر الصبي حتى لبست به شباباً ابيضا
لم ينتقص مني اوان نزوله باساً اطال على العداة واعرضا
فكانما انت امرأ متبذلاً اثوابه كره السواد فبيضا

اردت ان الشيب لما طرق قبل كبر السن والهرم كان
ما يرى من بياض شعره شباباً لانه في زمان الشباب وان
تغير ظلماً نوره وهذا عكس قول البحتري

وشبيبة فيها النهى واذا بدت لذوي التوسم فهي شيب اسود

فشباب ابيض عكس شيب اسود هـ ومعنى البيتين الاخيرين
يرد ذكره في الشعر لان عذر كل من اعتذر للشيب
انما هو بانه ما فل حده ولا اوهن قوته ولا غير حزمه هـ
وقد قال الشاعر

لم ينتقص مني المشيب قلامة الان حين بدا الب واكيس

ولتشبيه ما تعوض عنه من لون الشباب بلون المشيب بمن استبدل ثوبا اسود بابيض من بارع التشبيه ونادره لان تبديل الثياب مختلفة الالوان لا تغير جلدا ولا يوهن عضدا فاذا وصف بمثل ذلك من تغير لون شعره فهو الغاية في المعنى المقصود ونظير هذا المعنى بعينه من شعري مما سيجي ذكره

ت فلا تنكري ثوبا تبدلت غيره كمستبدل بعد الرداء رداء

وله ايضا

اما الشباب فقد مضت ايامه واستل من كفي الغداة زماما
وتنكرت اياته وتغيرت حاراته وتقوضت اطاما
ولقد درى من في الشباب حياته ان المشيب اذا علاه حماما

وله ايضا

الا حبذا من الحاجر وادا به الورق الناضر
اجر ذيل الصبي جامحا بلا امر ولا زاجر
الى ان بدا الشيب في مفرقي فكانت اوائله اخر

المراد بالورق الناضر ها هنا الشباب والجامح هو بالك لغضاضته وبهجته ورونقه ومعنى قوله بلا امر ولا زاجر انه لفرط جماحه وشدة تتابعه لا يؤمر ولا ينهى الناس من اقلاعه والصرافه ويحتمل وجها اخر وهو ان يكون من حيث عصى العذال وخالف النصحاء كانه غير مامور ولا منهي ولا مزجور وان كان ممن امر لفظا ونهي واشباه هذا في القران وكلام العرب كثيرة ه واما فكانت اوائله اخر فمن الاختصارات البليغة ومعنى باخرى نهاية عمري وغاية طربي ويحتمل ايضا ان يريد انه اخر سروري ولذتي واستمتاعي بالعيش ومتعتي ويجوز ان يكونا جميعا مرادين واللفظ يسير والمعنى كثير كما تراه ه

وله من قصيدة اولها رضينا من عداتك بالمطال

وبيضٍ راعهن البيض مني فقطّعن العلائق من حبالي
جعلن الذنب لي حتى كأني جنيت انا المشيب على حيالي
وليس الشيب من جهتي فألحى ولا ادراك الشبيبة في احتيالي

معنى البيت الثاني والثالث قد ذكرناه في الشعر
في شعري خاصة وهو حجة لمن عيب بالشيب واحتجه
لان المؤاخذة لا تكون الا بالذنوب ولا صنع لذي الشيب
في حلوله به فيتبرأ من الذنب به تارة بانه من غير فعله
ولا اختياره وانه من الدهر ومر الايام او من الهموم
والاحزان او من صد الحبائب وهجر الصواحب وسوى
ذلك في مواضعه فهو كثير   وبلي من قصيدة
اولها نراد ولكن لو ابي لا اذمه

خطوت مدى العشرين اهزأ بالصبى فلما تاتى عن تضاعف همه
فيا ليتما ابقى الشباب وجازه سريعا على علاته لا الومه

وليت ترى من شباب تعجلت بشاشته عني بايد عداته عظمه
مشيب اطار النوم عني قدومه فليقه به ان شاع في الراس

اردت انني كنت محبا لزمان الصبى مستهينا به حتى
عدمته فحزنت له والشيء لا يظهر فضله الا مع الفقد
والبعد واردت بما ابقى الشباب من بقاياه وعقابيله
ويحتمل ان يراد بما ابقاه وخلفه عندي من الشيب
فانني اشفقت من لحوق الباقي بالماضي في الذهاب
مني وانقضى عني فاما الالم من قليل الشيب فاحسن ما قيل
فيه قول ابن الرومي

طرفت عيون الغانيات وربما مالت الى الطرف كل مميل
وما شبت الا شيبة غير انه قليل قذاه العين غير قليل

وهذا من بارع المعنى واللفظ ولو لم يكن لابن الرومي في
الشيب الا هذا البيت لو اطرد لكفاه وقد اعاد

ابن الرومي هذا المعنى بعينه في قوله
اصبحت عن الغواني عاتبا ولعهدي بها الى مميل
طرقتهن شيبة وقلاة العين لا يستقل منها القليل
وبين هذا وبين قوله قليل قلاه العين غير قليل في الفصاحة
والبلاغة كما بين سماء وارض وكل وبعض
ولي من قصيدة أولها ما الحب الا موئل المعلل
سلها وقد صبغ المشيب ذوائبي للناظرين وفات حين تغزل
وازال من خطر المشيب توجعي علمي بان لبس الشباب معقل
فلئن جزعت وكل شيء مجزعي ولئن امنت فشيمة المسترسل
معنى البيت الثاني ان الشباب لا يوقي من خطر الموت
ولا يحصن من هجومه فقد لحق بالشيب في تطرق الاخطار
عليه فما معنى التوجع منه والتالم من خطره ۵ وقد
نطق البيت الثالث باني ان كنت جازعا فمجزع اجزع منك

حال لتطرق الاخطار عليها وان اطرحت الجزع
ولزمت الاستسلام فهي شيمة المسترسل الذي يطيب
عيشه ويسمو لذته ولي من ابيات مفرداه في الشيب
اشيبا ولما تمض خمسون حجة ولا قاربتني ان هذا من الظلم
ولو انصفتني الاربعون لنهنهت من الشيب وراجم من جانب الهم
فرعت له سني ولو استطيعه فرعت له ما لم تر العين من عظمي
يقولون لا تجزع من الشيب ضلة واسهمه اياي دونهم ترمي
وقالوا اتاه الشيب بالحلم والحجى فقلت بما يبري ويعرق من لحمي
وما سرني حلم يفيء الى الردى كفاني ما قبل المشيب من الحلم
اذا كان ما يعطيني الحزم سالبا حياتي فقل لي كيف ينفعني حزمي
وقد جربت نفسي الغداة وقاره فما شد من وهني ولا سد من ثلمي
واي مذ اضحى عذاري قراره اعاد بلا سقم واخفى بلا جرم
وسيان بعد الشيب عمر حياتي وقف عليه او وقف على سقم

وقد كنت ممن يشهد الحرب مرة ويرمي بأطراف الرماح كما ترى
إلى أن علا هذا المشيب مفارقي فلم يدعني الأقوام إلا على السلم

هذه الأبيات كثيرة المعاني في وصف الشيب جيدة النسج، ومعنى من جانب الهم أي من ناحيته لا من ناحية علو السن وقد ذكرنا هذا البيت مع نظيره من شعراي كبار ويجيء مثله في الشعر وفي شعري خاصة كثيرًا ومعنى البيت الثالث أنني قرعت سني همًّا وحزنًا ولو استطعت لقرعت عظمي بما هو خافٍ غير ظاهر للعين وهذا تأكيد لصولة الهم وسورة الحزن ومعنى البيت الرابع أن المعزي إلي عن الشيب بحوزه عن سهامه وبعده من إيلامه فلا يسبه ببنان ومعنى البيت الخامس أن الشيب وإن أعطى حلمًا فقد عرق لحمًا فهذا بذاك والبيت السادس يتضمن أنه لا منفعة بحلم يفضي إلى الموت لأن الحلم وغيره

من ذوات الفضل إنما تراد للحيوة زينة لها وفخر بها ولا خير فيما أفضى إلى إبطال الحيوة وهي الأصل في المنافع، وقد ذكرنا هذين البيتين مع نظيرهما من شعراي كبار وأما قولي أعاد بلا سقم فمعناه أن من وجع لي من الشيب وتألم من حلوله بي كأنه عائد لي لأنه يظهر من الجزع والتألم ما يظهره العائد ولا شبهة في أن الشيب ليس بسقيم على الحقيقة فيعاد صاحبه فأما قولي وأخفى بلا جرم فيتردد في الشعر كثيرًا وإنما يفضل موضع فيه على آخر بحلاوة العبارة وطلاوتها واختصارها وحسن موقعها وتشبيه وقوف النساء على الشيب بوقوفهن على الرسم الدارس المحيل واقع لأن الرسم لا منفعة في التعريج إليه والوقوف عليه ولا فائدة فيه ولا منفعة به وكذلك الشيب عند النساء

ولا شبهة في ان ذا الشيب مستضعف جلده فلا يدعى
الى الحرب وانما يدعى الى السلم والموادعة ولهذا بن حجاب
ذم الشيب   و   لي في الشيب وهي قطعة مفردة

شعر ناصع ووجه كئيب ان هذا من الزمان عجيب
يا بياض المشيب لونك ان انصفت دا بيك حالك غربيب
صد من غير ان يمل وما الكرسنا سوال
يا مضيا في العين يسود منه كل يوم جوانح وقلوب
ليس لي من جلالك يا شيب في راسي كرها عند الحسان نصيب
والخير من لونك اليقق المشرق عندي وعندهن الشحوب
رجن يدعونني معيبا ويبهذن عهودي وانت تلك العيوب
كيف اخشى الرقيب والشيب في وجهي على الغانيات مني رقيب

اردت ان نصوع الشعر واشراقه نضاد دا اشاب الوجه وقطوبه فكيف اتفقا وهذا بعد ان النصوع والاشراق محمود

في كل شي الا في لون الشيب ومعنى ان لونك حالك غربيب ان انصفت لانه جالب للهم والحزن والسواد بذلك احق من البياض ويحقق ذلك البيت الرابع وانما جعلت الشيب رقيبا مني على الغانيات لانه يحسمهن من وصلي ويبعدهن عن قربي وهذا معنى الرقيب

و   لي من قصيدة اولها رعيت لسعاب الغراب الهاتف

ورات بياضا في نواحي لمة ما كان فيها في الزمان السالف
مثل الثغام تلاحقت انواره عمدا لناظره بنان القاطف
ولقد يقول وقد اساها فوقها ما ان هذا في حساب العايف
اين الشباب واين ما يمشي به في البيض من مساعد ومساعف
ما فيك يا شمط العذار لراهق عبق الجوانح بالهوى من ساعف
فلمحل قلبك من احاديث الهوى ولمحل غمضك من مطيف الطايف

اردت بقولي عمدا لناظره بنان القاطف انه قد اشتهى بطلوع

العود فيه الى غايته واستقطف للبنان وهذه اشارة
الى ان الشيب يكون في اخر العمر وانقطاع امده

و ــــــ لى من قصيده اولها أأعظ والدهر لا يعظ

ولما بدا شمط العارضين لمن كان من قبله يعذل
تناهوا وقالوا لسان المشيب له من جوارحنا اعذل
فقلت لهم انما يعذل المشيب على الغي من يقبل
ام بعد ان مضت الاربعون سراعا كسرب القطا تجفل
ولم يبق فيك لشرخ الشباب ما يرتجى لا ولا مؤمل
تطامح نحو طويل الحياة ويوشك ان ما مضى اطول

معنى انما يعذل المشيب من يقبل اى ينفع لعذله من يقبل
وجعلت من لا ينتفع بالعذل كانه غير معذول كما قال تعالى
انما انت منذر من يخشاها وقوله جل وعز انما تنذر من
اتبع الذكر

و ــــــ لى من قصيده اولها .

أمنك سرى طيف وقد كان لا يسرى
وبيض لواهن المشيب عن الهوى فابرزن من وصلى واوسعن من هجرى
والزمنى ذنب المشيب كانما جنته يداى عامدا لا يد الدهر
لحا كذبى انما الشيب فسحة لما فات في شرح الشبيبة من امر
سقى الله ايام الشبيبة ربها ورعيا لعصر بان عنى من عصر
ليالى لا يعدو اجمالى صبوتى ولا تردد الحسنا نهيى ولا امرى
وليل شبابى غارب النجم واجم ترى العين يسرى فيه دهر بلا فجر
واذ انا في حب القلوب محكم وافيده البيض الكواعب في اسرى

الاعتذار من الشيب بانه من جناية الدهر ولا صنع
للذى لشيب فيه يجى كثيرا في الشعر وستراه من شعرى
في عدة مواضع بعبارات تختلف في ضيق وسعة واختصار
واطالة وتتفق في عذوبة ورطوبة ومعنى انما الشيب
فسحة ان المرء يستدرك في زمان الشيب ما فاته في زمان.

الشباب من صيانة وديانة وتيلا فاما العله فرط
فيه وضجع فاردت بقولي لا يبعدوا جمالي صبني انني
اذا تمنيت لم يتجاوز منائ ما انا عليه من الجمال والكمال
وهذا يدل على كمال الجمال وبلوغه الغاية ومعنى ليل
شبابي غارب النجم اي لا شيب فيه ن ومثله
ترى العين تسري فيه دهرا بلا نجم ولي
من قصيدة اولها قد هويناه ناقضا العهود
قلن لما راين وخطا من الشيب براسي اعيا على مجهودي
كسنا بارق تعرض وهنا في حواشي بعض الليالي السود
ابياض مجدد من سواد كان قدما لا مرحبا بالجديد
يا لحاظ من كان بالحسن تقهرننا بغير جنود
لبس بيض مني فاجري عليهن صدودا ولبس فيكن سودي
فلما حرکن من شعرانكن يوما على الوقار شهودي

معنى اعيا على مجهودي انى ضقت ذرعا بدفعه
والبيت الثاني في الغاية من وصف الشيب بالجفا وعدم
الشمول والظهور ويجري في الترقي من غاية الى اخرى
مجرى قول الراعي
كدخان مرتحل اعلى تلعة غرثان ضرم عرفجا مبلولا
ومعنى لا مرحبا بالجديد استثقال للشيب وان كان
جديدا ومن شان كل جديد ان تسر النفوس في الغالب به
الا الشيب ومعنى لبس بيض مني ما ينكر من انه
لا صنع لي في الشيب فاواخذ به ومعنى ولبس فيكن سودي
اي لبس شبابي من جهتكن فتسرعن في اللهف على فوته
والتاسف على فراقه فاما ان يوما على الوقار شهودي
فيشهد لنفسه بالبراعة ولي وقد سبقت
نقض قول جرير تقول العاذلات علاك شيب اهذا الشيب يمنعني مراحي

وما مزج الفتى يروز منه خدود البيض بالخرق الملاج
ونصبح بين اعراض مبين بلا اسباب وهجران صراح
وقالوا الاحاج فقلت كلا مشيبي وحده فيهم جناحي
البس الشيب بيالي من مماتي ونطمع من قلاتي في رواجي
مشيب نشّ في شعر سليم لشن العر في الابل الصحاج
كأني بعد زو قرنه مهيض أدف على الوظيف بلا احتناج
او العاني يوسط في الاعادي فسد عليه مطلع السراج
سقى الله الشباب الغض اياما عبقنا او زلالا مثل راج
ليالي ليس لي خلق معيب فلا يجري بذم ذا مرا جي
ولا انا من طالات التصابي ونشوات الغواني غير صاحي
واذ اسماعهن الى قبل يصغين الى اختياري واقتراحي

انما اردت كيف يمزج من اعرض عنه النساء احسانهن وجفونه وقطعته واي منغصة في العيش لمن له هذه الصفة

وقولي في البيت الثاني بلا اسباب هو في موضع الحشو لكنه حقق المعنى المقصود وتممه ولولاه دون بسمو ما كان بهذا الموقع حشوا او معنى يطمع من قلاتي في رواجي لي في مماتي والتراخي عن الدنيا بقائل الرجل اذا مات والعر الجرب ومن حسن التشبيه اجرا الشيب في حلوله بالشعر الاسود مجرى الجرب في وقوعه بالابل الصحاح لانه وان لم يماثله من جهة اللون فهو في معناه يشاكله لان العر اذا اصاب الابل توعدت من الابل وهجرت خوف العدوى ومن شاب شعره يجفونه النساء فقاطع مباعد والامات كما نري منصورة الاعراض سليمة الالفاظ

وقال من قصيده اولها   هل انت من وصب الصبابه ناصري
مالي وللبيض الكواعب هجرنني بلوى الثوية ذكره من زائر

شيبتني و د ممن يشيب عذار في خدها البك فضة من جابر
لا مرحبا بالشيب اظلم باطني لما تجللني واشرق ظاهري
شعر أبي علي في الحسان اصاخة يوم العتاب الى قول معاذري
مثل السحابة لم تطه في مبلغ أو كالقذاة مقيمة في الناظر
لا ذنب لي قبل المشيب وانني لمواخذ من بعده بجرائر
لا شبهه في ان اجور الناس من فعل شيئا ثم ذمه وعاب
يه ومعنى اشرق ظاهري واظلم باطني قد مر تفسير
مثله والشيب لا جرم معناه ان ذنوب الشباب مغفوره
وان وقعت وذو المشيب يواخذ بما جناه وما لم يجنه نحو ما عليه
و ـــــلـ من قصيدة اولها ما طيف الا زرتنا بسواد
ومخضب الاطراف صد بوجهه لما راى بشيبي مكان سوادي
والغانيات لدى الشباب حبائب واذا المشيب دنا فهن اعادي
شعر ينزل لونه فتبدلت فيه القلوب شناءة بوداد

لم تجنه الا الهموم بمفرقي وكذا لجاء به مدى ميلادي
ما تحتاج هذه الابيات الى منبه على بساطتها وعذوبه
الفاظها وانما القول فيها متدفق متدفق
و ـــــلـ من قصيدة اولها يا راكبا وصل الوجيف ذميله
من مانع عني وقد سحط الصبا شيبا على الفودين آن نزوله
وافى هوى السلك خر نظامه والشعب سال على الديار سيله
سبوا احتراسي مراداه بطيه لما تخللني وكيف نحوله
ما ضره لما اراد زيارة لو كان بالانذار جاء رسوله
لا مرحبا ببياض راسي وابرا اعبا على طوله ورحيله
من كان يرقبحه من حادث فالشيب داء ما يبل عليله
نصل الشباب الى المشيب وانما صبغ المشيب الى الفناء نصوله
ان لنهيم من الشباب الذي فلغذي اوضاحه ونحوله
انحب به صبحا بنور ظلامه وشهاب داجية تجب افوله

قالوا المشيب نباهة وأوذان باق على من الشباب خموله
والفضل في الشعر الناصر وليته لم يستحي فراقد مفصوله
العودان جانبا الراس والبيت الثاني الذي اوله واي هوى
السلك ابلغ من قول البحتري

متشيب كبث السرعي بجملة محرثة لان البحتري لم
يخرج نزول الشيب من ان يكون مستندا الى ايثار مؤثر وان
توفرت دواعيه والبيت للسي يزيد على ذلك بالاضافة الى
ما يقع وجوبا اما بالطبع على قول من اثبته او على جهة
الوجوب فهو اشد استقصاء للمعنى ولابد من تقدير ما
يضاف الى الشعب مما يليق به لانه معطوف على السلك
والسلك يليق به الهوى ولا يليق ذلك بالشعب فيجب ان
يليق به مثل سبل الشعب او ما الشعب
وما اشبهه وقد ذكرت ما التنبيه لبعض الشبه في البيت

الثالث من هذه الابيات عند ذكر ما اخرجه للبحتري فاما
البيت الرابع فمعناه ان الشيب هجم بغتة وفجاءة فما ضره لو
قدم له نذيرا بالشعر بوفوده وقرب وروده فلون حمله
اخف وخطبه اهون ومعنى اغبى على حلوله ورحيله
انى لا اطيق دفع نزوله اذا نزل كما لا اطيق دفع رحيله
اذا رحل وفارقنا بالموت والفنا فكانى مقهور عليه في
جميع احواله وجعلت نصول الشيب الى الفناء كما كان
نصول الشباب الى الشيب لما كان الفنا عاقبة الشيب
كما كان الشيب عاقبة الشباب وغايته وما عدا هذا
من الابيات واضح المعنى يسبق الفهم اليه من غير تأمل

ولي من قصيدة اولها   أما لك عن غرامك ما أمالا
وكان الدهر للبيض سوادا اروق به الغزالة والغزالا
نعمت بصبغه زمنا قصيرا فلما حالت الاعوام حالا

وله من قصيدة اولها أأرقت للبرق بالعلياء تضطرم
وعيرتني مشيب الراس خرعبة ورب شيب به لم يجنه الهرم
لا تشتكي كلوما لم تصبك فما اشكو اذى الشيب لا الغدر واللمم
شيب كما شبت في جنح الدجى قبس او اطلعت عن تباشير الضحى ظلم
ما كنت قبل مشيب بات يظلمني لظالم ابد الايام انظلم

الخرعبة من النساء الطويلة الناعمة وتقاربه في المعنى الخرعوبة لان الخراعيب الاغصان الرطبة المستطيلة ومعنى ورب شيب به لم يجنه الهرم اي لا تعيريني بما لا تعلمين انه عن هرم وضعف ونفاد عمر فان الشيب ربما كان عن غير كبر ولا هرم وهذه مجانسة صحيحة ومعنى البيت الثاني ان الشيب ان كان عيبا او داء فهو بغيرك لا بك فلا تشتكي منه والبيت الثالث فوق في حسن العبارة عن وضوح الشيب وظهوره والبيت الرابع تتمة غاية التمدح لان من لم يظلمه ويقهره الا الشيب عزيز منيع الجانب وله نظائر في شعري ومنها وهي

وأوحبته بيد ما كنت طالعها لان جناه على فودي غربيب

وله من قصيدة اولها
أترى يؤوب لنا الابيرق والمنى للمرء شغل
ومنها
ولقد حل الشيب مفارقي والشيب جمل
ورأت بياضا في سواد دارانه هناك قبل
كذبالة رفعت على الهضبات للسارين ضلوا
لا تشكيه وعيب غيرك فهو للجهلات غل
اي المفارق لا تزال بها البياض ولا تجل

معنى البيت الاول لا تعيبي بما انت شريكة فيه وصايرة اليه وقد ورد باحسن لفظ وعليه سوال وهو ان يقال قد لا لتشب جمل بان يوقت بالشيب ليس بواجبها قلنا المراد

انك اذا عمرت عمري وبلغت سني فلابد من شيبك
لانها عيرت وتعجبت من الشيب مع السن وهي مزيله في
ذلك لا محاله والبيت الثالث في اشتهار الشيب ووضوحه
بديع بليغ والعبارة بانه للجهالات غل من حيث قبض عن
الشهوات وصرف عن اللذات من ابلغ عباره والبيت
الثالث تفسير للاول وما كيد له ومثل وتشبيه
جمل قولي وعيرتني شيبا ستكتسين مثله

ومن ضل عن ايدي الذي شاب مفرقا   ولي
من قبضة اولها   تولينا منك الغداه قليلا

ورات لمة كان عليها صارما من مشيبها مسلو لا يوخر
جزعت للمشيب جانبه الشيب وقالت بيس البديل بل بعدم
راعها لونه ولم تر لولا عنت النائبات منه فهو لا
عاينت منه والحوادث نكرن طلوعا لم يرج منه افو لا

لانه منه فالمشيب على طول بقاء الفتى يكون دليلا
ان لون الشباب حال اذا امتد زمان ابى لها ان يحو لا
لو تخيرت والسواد ردائي ما اردت البياض منه بديلا
وحسام الشباب غير صقيل فهو اشهى الي منه صقيلا
وطلبنا فما وجدنا عن الشيب محيصا يجيرنا او مميلا
لمعنى البيت الاول نظاير كثيرة في الشعر وفي شعري
خاصه ستري في مواضعها وتشبيه الشيب في لونه
بالسيف له نظاير كثيرة في شعري خاصه وغيره عامه
وهذا البيت عكس تشبيه الشيب بالسيف لونا وقطعا
لحبال المودة واراها بالمرحل به وجرد في ذوابه ومعنى
طلوعا لم يرج منه افولا ان لون الشيب مما لا يحول ولا
يزول كلون الشباب فهو ملازم الى انقضاء العمر
ومعنى البيت الخامس ان المشيب لا يظهر في الاغلب الا لكثر

الا مع امتداد العمر وطول البقاء والشيب لعاب وندم وهو
شاهد بطول البقاء وهذا تمحل وتعلل في الاعتذار
للشيب لان قائلا لو قال كما يشهد بطول بقاء متقدم
فهو شاهد ودليل على قصر ما بقي من العمر ولان صاحبه
اقرب الى الفناء من صاحب الشباب لما كان جوابه الا
هذا القول الطف ما تمحل لو استخرج في التسلية عن الشيب
والتحليل على مصاحبته   ولي من قصيدة اولها

عرفت الديار كسحق البرود كان لم يكن انيس ديارا
وقالوا وقد بدأت حادثات دمائي ليل شبابي نهارا
انا والمشيب بدال الوقار فقلت لهم ما اردت الوقارا
فيا ليت دهرا اعار السواد اذا كان يرجعه ما اعارا
وليت بياضا اراد الرحيل عقيب الزيارة ما كان زارا

انما اردت لا خير في وقار يوئس من الحياة ويدني الى المنية

ويسلب القوة ويورث الضعف وطالما استعفى الشعرا
من وقار الشيب وابهته وتجاوزوا ذلك الى كراهة
المخاطبة بما يقتضي علو السن وتصرم زمان الحداثة

قال مضرس بن ربعي الاسدي
لحا الله وصل الغانيات فاننا اراهن لحا الايام وخلا
اذا ما دعينا بالكنى لم يرينا صديقا ولم يعددن من كان اشيبا

ومثله للاخطل
واذا دعونك يا اخي فانه ادنى لك مودة ووصالا
واذا دعونك عمهن فانه نسب يزيدك عندهن خبالا

وللبحتري ما له بهذا بعض التشبيه
يتبرجن للغرير المسمى من تصاب دون الحليم المكنى

ونظير ذلك كله قول ابن الرومي
اصبحت شيخا له سمت وابهة يدعونني البيض عما تارة وابا

وتلك حالة اجلال وتكرمة وددت انى معاصيها لقبلا
ولـــه ايضا
راع المها شيبي وفيه امانها من ان يصيد رميهن سهامي
وعققنني لما دعين عمومتي ومن النساء معققة الاعمام
ولبعضهم وهو ضعيف اللفظ
قالت وقد راعها مشيبي كنت ابن عم فصرت عما
فقلت هذا وانت ايضا قد كنت بنتا وصرت اما
ولابن المعتز ماله بعض السخف بهذا المعنى يصف دليل
قوم في مفازة وانهم عند خوف العطش يكبرونه اجلالا له
وطلبا لمرضاته واذا بلغوا الماء دعوه باسمه استغناء عنه
وهو قولــه
ثم استنادهم دليل فارط يسمو البغيته بعيني اجدل
مدعا بكنيته لاول ظمائها يوما ويدعى باسمه في المنهل
ولـــي من قصيدة اولها تلك الديار وانتن همود
وغرائر الذين شبت ذوائبي والبيض مني عندهن السود

انذرن داء ليس فيه حيلة وذمن مقضى ليس عنه محيد
يهوى الشباب وان تقادم عهده ويمل هذا الشيب وهو جديد
لا يبعدن عهد الشباب ومن جوى ادعو له بالقرب وهو بعيد
ايام ارمي باللحاظ وانثني واصاد في شرك الهوى واصيد
معنى والبيض مني عندهن السود ان الذى ابيض من شعرى
مسود في شعورهن والبيت لذلك قوى اللفظ
لان من شان ما تطاول صحبته ان يمل والشباب يستتم محمدة
مع استمرار صحبته ومن شان الجديد الا يكون مملولا والشيب
يمل جديدا فقد انتقضت العادة المالوفة في غير الشيب
والشبان بهما وفيهما ولـــي
من قصيدة اولها لو كنت في مثل حالي لم ترد عذلي
صدت اسماء والحراس قد هجعوا والصد لم يك خوفا فعن ملل
ورابها من بياض الشيب منظرة كانها ذرة وقذى في الاعين النجل

يا ضرة الشمس الا انها فضلت بان شمس الضحى زالت فلم تزل
قومي انظري ثم لومي فيه او فذري الى عذار نضو الشيب مشتعل
جبينه وجعلت الذنب ظالمة لما تصرم من ايامي الاول
تقول لي ودموع العين واكفة خريدة ذهبت فقد الشبيبة لي
برد الشباب برد الشيب خلعه فستبدلا بيس ما عوضت من بدل
شمر ثيابك من لهو ومن اشر وعد دارك من وجد ومن غزل

لما قلت يا ضرة الشمس وتنظيرها بها لمراض بذلك حتى فضلتها على الشمس بان الشمس تزول وتحول وهذه لا تزول واما البيت الخامس فقد مضت له نظاير في شعري وسيمر مثلها وقد استوفى هذا البيت المعنى ولم يترك منه بقية لمستدرك في غيره والخريدة من النساء الخفرة المصونة وجمعها خرايد يقولون خرد من الشمس اذا استتر منها والخريدة ايضا اللولوة التي لم تثقب والمعنى في الملك يتقارب

ذلك تشبيه لها بالشمس

وله من قصيدة اولها اعلى العهد منزل بالجناب
ان تعفو فان قلبي فيما الفته موكلا بالتصابي
سالتني عن الهوى في ليالي الصباح فيهن من بدن شبابي
فمتى ما اجبتها بسوى ذكر مشيبي فذاك غير جوابي
صار مني مثل الثغامة ما كان دجا نا محلولكا كالغراب
ليس يبقى شي على شانه الاول في كر هذه الاحقاب
من عذيري من المشيب وقد صار لعهد الشباب من اثوابي
وشفائي في غير ما ذاقه الساقي وداء المشيب من اوصابي

معنى قولي فمتى ما اجبتها البيت اني ان اجبتها وقد سالتني عما عهدته مني من الهوى والتصابي بان الشيب في ذهاب ذلك عني ونفاده مني غير مستثنى فما اجبت بالجواب الصحيح الصادق وهذا تحقيق كما تراه لان الشيب اكثر في هواه الذي كان معهودا منه فاما الثغام

فهو نور شديد البياض تشبه العرب به الشيب فاما
البيت الآخر فمعناه انه لا دواء لوصب المشيب ولا شفاء
منه لانه لا دواء الا ما يدوفه الساقي واذا لم يكن فيه شفاء
ولا دواء للشيب فلا دواء له ولا علاج ٥

ولي من قصيدة اولها هل هاج شوقك صوت الطائر الغرد

من غادر في العواني غب منتشر من المشيب كنوار الضحى بدد
وافى ولم يبغ مني لن اصيب به وحل مني كرها حيث لم ارد
ولو جنته يد ما نبت طالعها لكن جناه على فودي غير يد

لم ارض بان جعلته نوارا حتى اضفته الى الضحى ليكون اظهر له
واشهر والبيت الثاني حظ من بلاغة وطلاوة لا تجحد والبيت
الثالث غريب المعنى ولا اعرف له على جهته نظيرا وكانني
قلت انه لو كان جناه على فودي الشيب غير الله تعالى لا
لمته لانه يغالب ولا يمانع لما اطعته ولا انقدت له وهذه
غاية العذر والاعتذار فان قيل كيف تسمي ما تفعله
الله تعالى بانه جناية وهذه اللفظة لا تستعمل في
العرف الا فيما كان قبيحا قلنا سميناه بهذا
الاسم استعارة وتجوزا للمطابق ولتجانس قولي
ولو جنته يد ما نبت طالعها وانظاره كثيرة في القرآن
والشعر قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها
ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم

ولي في التسلية عن الشيب والاعتذار عن حلوله
وهي قطعة مفردة

اماوي ان كان الشباب الذي انقضت لياليه عني بان منك صفاء
فما الشيب لي في فاحم حال لونه بياضا وقد حال الظلام ضياء
وما ان عهدنا زائلا جاز فقده وان كان موموقا لديك اخاء
ولو كان مما يحدث الدهر مثله ابيت على هذا المشيب اباء
فلا تنكري لونا تبدلت غيره كمستبدل بعد الرداء رداء

فإني على العهد الذي تعهدينه حفاظاً لما استحفظتني ووفاء
مشيب كفتق الصبح في مدلهمة أتاك يقيناً أو أزال مراء
كأن الليالي عنه لما رمينني جلون صدياً أو كشفن غطاء
فلا تجعلي ما كان منك من الأذى عقاباً لما لم آته وجزاء
وعدي بياض الرأس بعد سواده صباحاً أتى لم أجنه ومساء
ولا تطلبي شيئاً بلون طلابه وقد ضلّ عنه رائدوه عناء
فإنك إن تلابيت عيش لهفٍ شباباً وقد ولّى أضعت بكاء

قد ضمنت هذه الأبيات من الاعتذار لحلول الشيب والتسليه عنه والتنبيه لمن حلّ به من تبعته وتمثيله بكل ما لا حيله في حؤوله عن صبغته ونقله عن صفته ما لا يكاد يجتمع في مكان واحد فأما الطلاوة والحلاوة فمحكم فيها العدو والحاسد فضلاً على المنصف لنا فيه ولا حاجة بها إلى تفسير لمعانيها وإيضاح لفوائدها فليس فيها إلا ما

عيار نقدها عنه أوضح وأفصح ولك أيها الناظر الخبير في البيت الذي عجزه أتاك يقيناً أو أزال مراء والبيت الذي يليه مسرح طويل في الاستحسان إن كنت منصفاً فلسانك وإن كنت ظالماً غامطاً فقلبك ومعنى البيت على هذا المشيب إباء لي كنت أبي عليه الإباء الذي يمنع جانبي منه ولو مبني ربه وستره ويجري ذلك مجرى قوله تعالى فإنه يتوب إلى الله متاباً أي عظيماً مقبولاً ٥ ومعنى تستبدل بعد الرداء رداء أي أنه لم يغير مني جلداً ولا أوهن قوة ولا كسبني ضعفاً وعجزاً فجرى مجرى من تبدل رداء بغيره في أن حاله في نفسه ما تبدلت ولا تغيرت ٥

و لي وهي قطعة مفردة

عجبت لشيب في عذاري طالعاً عليك وما شيب امرئ بعجيب
ورابك سود جلن بيضاً وربما تلون حول الأمر غير مريب .

وما ضرني والعهد غير مبدل تبدل شرخي ظالما بمشيبي

وما كنت اخشى ان تكون جنايةُ المشيب اسى في حساب ذنوبي .

ولا عيب لي الا المشيب وحبذا اذا لم يكن شيئا سواه عيوبي .

معنى ولا عيب لي الا المشيب ليس بسليم لان المشيب عيب
لكن المراد لا عيب لي عند من عابني بالمشيب الا هو ثم
صرح باني راض الا يكون لي عيب سواه لانه في نفسه
اولا ليس بعيب وكاني قلت اني راض بانه لا عيب لي والظا
فاذا كان لا عيب لي عند من اعتلى وعابني بما ليس بعيب
سوى المشيب فقد رضيت بذلك وان يكون غايه ما
يعيبني به المعيبون لما هي لسبب من غير نار له ولا
شي مضموم اليه و ـــــلي وهي قطعه مفرده
محيطة باوصاف المشيب المختلفه وقل ما تجتمع هذه
الاوصاف في موضع واحد ٥

هل الشيب الا غصة في الحيازم وداء لربات الخدود النواعم

تحيد اذا الجرته عن سبيله صدود الشناوي عن خبيث المطاعم .

تعممته بعد الشبيبة ساخطا وقال باض الشيب شر عمايمي

وقعت منه بالمخوف كانني تقعت من طاقاته بالاراقم

وهيبني منه كما هاب عاجز على الغاب هيبات الليوث الضراغم

وهددني في كل يوم وليلة سنا ومضه بالقارعات الحواطم

كفاني عذالي على طربة الصبا وقام بلوم عنه من لوائمي

وقلص عني باع كل لذاذة وقص دوني خطو كل محالم

فوالله ما ادري اصبت مفارقي بقهر مشيب او بقهر مراجم

ولما سقانيه الزمان شربته كما اوجر المأسور مر العلاقم

حنتني منه الحاديان كانني اذا ظلت يوما قائما غير قائم

واصبحت تستبطي منوني وتدعي وما صدقوا في اختلال العزائم

فلا انا مدعو ليوم تفاكه ولا انا مرجو ليوم تكا صم .

فلا تطلبا مني لقاء محارب فما انا الا في ثياب مسالم
ولا تدفعاني عنكما غشم غاشم فاني في ايدي المشيب الغواشم
فلو كنت اسوا منكما الكلم ما وات عيوبكما عندي كلوم الكوالم
واني متهم بالمشيب مخليا ولا ستغيا عندي علاج الامايم
مشيب كخرق الصبح غار بياضه برود الليالي الحالكات العواتم
وتطلع في ليل الشباب نجومه طلوع الدراري من خلال الغمائم
كأن عنه كلما رمت نهضة الى اللهو مقبوض الخطى بالاداهم
تساندني الايدي وقد كنت برهة غنيا بنفسي عن دعام الدعائم
وقد كنت آباء على كل حادث فلما علاني الشيب لانت شكائمي
واخشع في الخطب الحقير ضراعة ومدت ذراعا صلاد الوطايم
ولانت لغير الاغنياء نضارتي فاصبحت ندمان الغيور المعارم
ولما عراني ظلمه حملته السن على عمد حمل المظالم
فلا تعصن اسى الى العز بعدما كلله منه مزل الجماجم

فيا ضيعة حملتها غير راغب ويا صنعة بذلتها غير شاكر
ويا زائري من غير ان استزيره كما زار جيزوم الفتى باللهاذم
أقم لا تزم عني وان لم تكن هوى فكم ذا سخطنا فقد غير ملائم
فمن مبدلي من ضيحه بظلامه ومن عائضي عن بيضه بالسواهم
ومن حامل عني العذاة عرامه فقد كنت نهاضا بثقل المغارم
فيا بيض بيض الراس هل لي عودة الى السود من اعفارك الفواحم
تمازجن بالبيض الطوالع شردا كما شرد الاصباح اظلام نائم
ويا مجراسي هل الى نيل المنى سبيل وذات المواضي القدائم
ليالي الغدي بالمقوبين وارتدي من البيض اسعافا سبض معاصم
فان كان فقداني الشبيبة لازما تجزى عليها الدهر ضربة لازم
وان لم يكن نومي لشاف وادمعي فدمع الحيا كاف ونوح الحمائم

الحيازم جمع حيزوم وهو الصدر وانما خصصت الشاوي لانا لعشوان نافرا لنفس شديد الخوف.

عن كل شيء وإذا كان عن خبيث المطاعم فهو أنفر
وأشد صدودًا وشبهت طاقات الشيب بالأراقم لا في
اللون لكن في الخوف منها والرهبة لها والحذار من
بطشها والحواطم اللواتي جمع حاطمة وإنما سمي حطيم مكة
بذلك لانحطام الناس عليه والحالم المحبوب المخالط من حلم
الرجل خاصته ومنه قول أبي نواس لست حلمًا ولا
أنت زوجة وإنما كان الشيب شابا مسالمًا لأنه يؤذن
بالضعف والنكول والقصور ومن كان كذلك طلب الموادعة
والمسالمة والأميم الشجيج في أم رأسه ومثله المأموم
والآمة هي الشجة التي تبلغ أم الرأس والأداهم القيود
ومعنى البيت الذي أوله وكانت لعين الأغبياء نضارتي
أي إنني كنت حسن الشباب أعجب الغبي الذي لا فطنة عنده
ولا تيقظ منه فلما شبت وأخلق رونقي وغاضت

نضارتي صار نادمي الغيور لا منه مني وبتّه بأنه لا طماح
من النساء إليّ ولا تعرّج منهن عليّ ولم أرض بالغيور حتى قلت
المعادم من العرام والعرامة التي هي النزق وسرعة البطش
والمراد بالبيت الذي أوله فيا صبغة حملتها غير راغب
أي حملت صبغة الشيب غير راغب فيها ولا طالب
لها وسلبت صبغة الشباب وبدلت منها من غير ملل مني
لها وهذه غاية في التألم والشكوى وأي شيء أثقل من إبدال
ما لا يطلب ولا فيه مرغب وسلب ما هو موافق غير مملول
ولا مكروه ومعنى البيت الذي أوله أقم لا ترم عني
وإن لم يكن هوى أنك وإن كنت غير موافق ولا محبوب مكروه
الفراق مرغب في مطاولتك ومصاحبتك وهذا على ظاهر
الأمر كأنه عجب والسبب فيه أن الشيب مكروه الحلول
مشتكو النزول فإن فراقه لا يكون إلا بالموت والفناء.

فمطاولته على هذا محبوبة مأمول وفراقه مكروه مذموم
ولا مناقضة في ذلك لان المكروه غير المحبوب والممدوح
غير المذموم اما المكروه المذموم فهو تجدد الشيب وحدوثه
وطرده الشباب وتبعيده واما المحبوب الممدوح فهو
مطاولة الشيب واستمرار مصاحبته ودوام ايامه فهو
وان لم يكن نزوله هوى فمقامه ودوامه هوى فان قيل ما في
حدوث المشيب وكراهه من الضرر الا ما في استمراره
ومطاولته بل المطاولة اشد ضررا لان المذموم من الشيب
انه يضعف القوة ويوهن المنة وينذر بتصرم العمر وهذا
يتأكد باستمراره ومطاولته وان النساء ينفرن منه
ويصددن منه وهذا هو في حدوثه ونهاية معناه قلنا
لا شك في ان صفة ابتدا الشيب هو قائم في استمراره
ودوامه الا انا نوثر على ما فيه من ضرر مقامه ونهوى

دوامه ونكره فراقه لما في فراقه من الضرر الاعظم
وقطع كل المنافع وقد يختار بعض الامور المضرة
المؤلمة دفعا لما هو اضر منها كمن يمشي على الشوك
دافعا بذلك على شدة ضرره ظاهرا اعظم منه من المضار
وكشارب الدواء المر دافعا بذلك العلل العظيمة
عن جسمه وكقاطع بعض اعضائه فاديا بذلك السراية
الى بقيته ولي من قصيدة اولها ما زدت الا
ضراعا ايها الساري

لا تنكري نزوات الشيب اونه في فاحم صبر للابصار من قار
قد كنت عن نفسي قبل ثوريته فالان صافيت على اللذات اعذاري
من منصفي من بديات كما ابتدرت في عرض دو دنارا انما نار
لوامع لم يكن للغيث جاذبة وانجم لم تنر للمدلج الساري
تغضن عنهن ابصار الحسان كما تغض عن ناخس فيها وعوار

لا مرحبا ببياض لم يكن وضحا لغرة الصبح او لمعا لنوار
اما تشبيه ابتدا الشيب وتبدده في الشعر بابتداء النار
في العرفج قبل انتشارها فيه فهي تضيء منه مواضع دون
اخرى من واقع التشبيه وغريبه وانما نارهو استنذار
لها واستعظام واحتصار شديد لشكوى تلك الحال
وتعديد لما فيها من المضار فاما البيت الذي اوله لوامع
للغيث جادته فان تشبيه لمع بياض الشيب في خلال
الشباب بلمع البرق في الغمام لما اعتمد في البيت وجب
في صنعة الشعر وتحقيق معناه وان ينفي عن هذا
المشبه بالبروق منافع البروق فيقال انها لم تبن
للغيث جاذبة وكذلك لما شبه الشيب في هذا البيت
بالنجوم وجب ان ينفي عنه منافع النجوم ومواقعها فيقال
انها لم تك للمدلج الساري والبيت الاخير الذي اوله

لا مرحبا ببياض في معنى هذا البيت الذي تكلمنا عليه
لانه ذم البياض للشيب لما لم يكن بياضا لذي منفعه
كغرة الصبح ولمع النوار وهذا تصرف في المعاني
وتحكم فيها و لي من قصيدة اولها

عتاب لدهر لا يمل عتابي
اذا لم ارع عند الغواني بعزة فمثل مشيبي بينهن شبابي
ولو كنت يوما بالخضاب مموها فلا احضبت لم يخف عليه خضابي
فان يعطني اولى الخضاب شبيبة فاني اراه بغير شباب
واين من الاصباح صبغة غيهب واين من البازي لون غراب
واي انتفاع لي بلون شبيبة ولون اهاب الشيب لون اهابي
وقد قلصت خطوى الليالي وشمرت برودا بها من جيئتي وذهابي
وكم ظعن الاقوام في البيض كالدمى يعوق الحلي منهن لا شباب
فها الشيب مني عاريا غير ملبس ونصلا على راسي بغير قراب

ومعنى البيت الاول اى اذا انت لا اطلب الغزل
عند الغوانى ولا احظوه منهن فلا فرق بين مشيبى
وشبابى لان الشيب انما يحزن ويكرب من سلبه مودة
الغوانى وحطه من رتبته بينهن وزوى عنه خدودهن
ومعنى البيت الثانى النهى عن الخضاب من حيث كان غير
خاف لانه اذا كان لا ينبغى ان يخضب الا لمن يخفى عليه خضابه
ولم يك خافيا فلا معنى لتكلف الخضاب الذى لا يخفى ومعنى
البيت الثالث عند اولا معروف وقد قيل

وقالوا الخضاب شباب جديد فقلت النصول مشيب جديد

وقال محمود الوراق

ان النصول اذا بدا فكانه شيب جديد

وفى البيت الرابع تفضيل للون الشيب على لون
الخضاب فاما البيت الاول الذى اوله واى انتفاع لى بلون شبيبة

فمعناه كيف ادلس بياض شعرى بتسويده ولون
جلدى لمشيبه وبعضه لا يليق بالشباب وانما يليق
بالشيب وانما دلست ما هو مفتضح وليس ما هو
منكشف وكان عندى انى منفرد بهذا المعنى حتى وجدت
لابن الرومى قوله

رأيت خضاب المرء عند مشيبه حدادا على شرخ الشبيبة يلبس
والا فما يغزو امرؤ بخضابه ايطمع ان يخفى شبابا مدلس
وكيف بان يخفى المشيب لخاضب وكل ثلاث صبحه يتنفس
وهبه يوارى شيبه اين ماؤه واين اديم للشبيبة املس

ووجدت ابن الرومى تصرف فى هذا المعنى وعكسه حتى
جعل من لا غضارة لجلده من ذوى السواد يظن به
الكبر وان سواده خضاب لا شباب فقال

اذا دام للمرء السواد ولم تدم غضارته ظن السواد خضابا

فكيف يظن الشيخ ان خضابه يظن سوادا او يخال شبابا

وفلسفة هذا الرجل في شعره ونظله لطيف المعاني
مع اعراض عن فصيح العبارة وعربيها وان كانت مذمومة
مستبردة في الاغلب الاكثر وربما اثارت دفيناً او احرجت
علقاً مثبلا ونظير قول ابن الرومي راس خضاب المرء عند مشيبه
حداداً قول الافوه الكوفي

فان تسلبني الخضاب فانني لبست على فقد الشباب حدادي

ومثله لابي سهل النوبختي

لما خضبت الشيب للغواني ابغي بها عندها ودادا
لكن خضابي على شبابي لبست من بعده حدادا

ولابن الرومي في ذم الخضاب

يا ايها الرجل المسود شيبه كيما يعد به من الشبان
اقصر فلو سودت كل حمامة بيضاء ما عدت من الغربان

ولـه في هذا المعنى

فزعنا الى الخضاب فلم نجد به خلقاً ولا اجبت منّا
خضبت الشيب حين بدا فهلا حلقت العارضين اذا التحينا
لترجع مرده كانت فبانت كما تسويد شيبك اذ جنينا

مشبنه

ولـه ايضا مثله

خضبت الشيب حين بدا فهلا لتدعى فتى حدثاً طلالا اما ارجنا
الا اجاولت ان تدعى غلاما بحلق العارضين اذا التحينا
ابت انار دهرك ان تخفى بكفك شيب ذلك ام ابينا
فدع عنك الخضاب ولا ترده فاجدى منه قولك لو ولينا

وهذه الابيات وان كان لمعناها بعض الصحة فالفاظها
متباينة لاسلوب الشعر العربي وحظ اللفظ في الشعر
اقوى من حظ المعنى ولابن الرومي مثله

كما لو اردنا ان نحل شبابنا مشيبا ولم نر المشيب تعذرا.

كذلك يعنينا إهالة شيبنا خضابا إذا ثوب الشباب تحسرا
أبى الله تدبير ابن آدم نفسه وإلا يلون العبد إلا مدبرا
ولا صبغ إلا صبغ من صبغ الدجى دجوجيه والصبح أنور أزهرا

فأما قولي في البيت الأخير من الأبيات البائية

فها الشيب مني عاريا غير ملبس فإنما أردت
بعد ذم الخضاب وبيان أنه لا طائل في تعلقه أي شيب عار
من الخضاب فإنه على هيئته وخلقته وجعلت الخضاب
تارة له كسوة وأخرى قرابا لما جعلت الشيب نصلا
فهو يشبه النصل لونا وصقالا

و لي من قصيدة أولها ماذا جنته ليلة التعريف

ونعجت للشيب في جنباته لولا غانية وصد صدوف
وأحاطت الحسناء بي تبعاته فكأنما تخويفه تخويفي
هو منزل بدلته من غيره وهوى الفتى في المنزل المألوف

لا تنكريه فهو أبعد لبسة عن قذف قاذفة وقرف قروف

و لي من قطعة

وتطلب مني الحب والشيب لابسي وإن الهوى ممن له الشعر ابيضا
فقلت لها قد كنت بالحب مولعا ولكنه لما انقضى شرخي انقضى

و لي وهو ابتداء قصيدة

سجى لك أن الليل ليل عذاري مضى عايضا عنه بضوء نهار
ممثل عن الفجر المغلس بالدجى وعن شفق لما ارض منه بقار
وكنت حذرت الشيب حتى لقيته وقل على المحذور نفع حذار
لهيب مشيب في الفؤاد مناله جوى وأدان من جوى وأوار
عشية أبغي من عذار إلى الهوى ولا تألف الحسناء عفوه داري
وشوق مزاري بعد أن كنت برهة إذا زرت ليلى لا يشوق مزاري
يحب ويهوى كل يوم من فتى وساع بالإيثار النفيس جواري
ولبس هوى إلا على معاجة وفي فصل البيض الدمى وأساري

فها انا ملقًى كالقناة تناطني حرابٌ لم تجعل لحق جاري
أقيل عثارًا كل يومٍ وليلةٍ بطرفي الهوى من لا يقيل عثاري

أما قولي لهيبٌ مشيبٌ في الفؤاد مثاله فمعناه أن الشيب المنتشر في الشعر المشبه لضوء لهيب النار في القلب مثالٌ له لتلهب الحزن والهم واشتغالهما في القلب من أجل نزول الشيب وحلوله والجوى هاهنا هو الحزن الباطن والأوار لهيب النار وكان هذا الذي في القلب من الجوى والأوار متولدٌ عن أوار الشيب ولهيبه في الشعر فإن قيل أليس أهل اللغة يقولون إن الجوى هو الهوى الباطن وكيف جعلتموه حزنًا وهمًّا قلنا لا يسمون الهوى الباطن بأنه جوًى إلا إذا صحبه لذعٌ وحزنٌ وهمٌّ وذلك معروفٌ فإن قيل فهبوا أن الأمر على ما قلتموه فيما يلوح في القلب كيف جعلتم الشيب جوًى وجعلتم بينه وبين الأوار وشبهت أوار النار بلونه ولا يشبه به وبين الجوى قلنا إذا كان سببًا لجوى القلب الذي هو الحزن به والغم على حلوله جاز أن يسمى باسمه فقد سموا كثيرًا الشيء باسم مسببه والمسبب باسم سببه ويتخطوا ذلك إلى ما هو أبعد منه كثيرًا والاستعارات واسعةٌ فسيحةٌ ه وفي قولي الفجر المغلس معنًى لطيفٌ لأني أشرت إلى أن الشيب عجل عن وقته المعهود له فلهذا شبهته بالفجر الطالع في الغلس قبل أوان طلوعه المألوف ولي في قصيدة أولها

لمن ضرمٌ أعلى اليفاع تعلقا

وعيرتني شيبًا ستلبسين مثله ومن ضل عن أيدي الردى شاب مفرقا
وهل تاركٌ للمرء يومًا شبابه صباحٌ وإمساءٌ وممسًى وملتقى

ولي من قصيدة أولها ما فرقوا الاليف توقا

ذهب الشباب ولم مضى من فايت لا يستطيع له العداة
لحوقا

ما كان الا العيش قضى فانقضى بالرغم او ما الحياة اريقا

فلو انى خيرت يوما خلة ما كنت الا للشباب صديقا

ولقد ذكرت على تقادم عهده عيشا الذ بالانعيم انيقا

ازمان كان نهار ذي ساحبا اثرا وغصني بالشباب وريقا

واذا اراني عيون ظبايهم كنت الفتى المرموق والموموقا

ولي من قصيدة اولها سلا عن المنازل لم بلينا

فيا شعرات راسي كن سودا وحلي ملحاه الدهر جونا

فشيبك للسنين ومن هموم ولكنك قد نزلت مع السنينا

كرهت الاربعين وقد دنت فمن ذا لي يرد الاربعينا

ولاح بمفرقي قبس منير يدل على مقاتلي المنونا

الجون من الالفاظ المشتركة بين الابيض والاسود . واردت بالجون ها هنا البيض في مقابلة السود ومعنى

ولكنك قد نزحت مع السنينا اي ليت الهموم والاحزان في الاسباب المشيبه للشعر لم تطرقك ونزلت مع السنين وما ثرها قبل وفاتي تمنيت الاربعين السنين على شيب راسي معنى وانما يكره الاربعين من لم يبلغها لانها اقرب الى الموت وادنى الى الهرم من السن التي تتقدمها فاذا جاوزها وارمى عليها تمناها لانها اقرب من الشباب وابعد من الهرم والموت من السن التي هو فيها وقد ذكرت فيما مضى نظير البيت الذي اوله ولاح بمفرقي قبس منير ولي من قصيدة اولها

ان على مل العتيق خيما

عجبت باضياء من شيب غدا منتشرا في مفرقي مبتسما

لو ان لي حلم يطاع امره حميت منه لمتي واللمما

تفوين عن بيض راسي سوده وعن صباح في العذار ظلما

وقلت كلما كالثغام لونه ولون ما تبغين كلي الفحما
صبغ الضحى أبعد عن فاحشة ولم يزل صبغ الدجى منهما
من عاش لم يجن عليه نوب شابت نواحي رأسه أو هرما

ان قيل كيف يكون ظالمه بتشبيه الشيب بالثغام وهو أشبه شيء به قلنا لم نظلم لأجل التشبيه الذي هو صحيح وأقبح لكن لأنها كمنت بذلك الشيب وهجنته وأزرت عليه ولهذا عورضت بأن لون ما تهواه من الشباب يشبه الفحم الذي الثغام على كل حال أفضل منه فأما البيت الذي أوله صبغ الضحى أبعد عن فاحشة فغريب المعنى لأن النهار نفسه وما يشبه بالنهار من الشيب أبعد من الفواحش والقبائح أما فإنه يظهرها ولا يسترها والشيب يعظ ويزجر عن ركوبها وصاحبه في الأكثر عند الناس منزه عنها وصبغ الدجى الذي هو

الليل نفسه وما يشبه به من الشباب أدعى إلى القبائح لأن الليل يستر القبيح ويخفيه والشباب يدعو إلى اقتراف القبيح ويعلق على صاحبه منه ما لا يعلق على ذي الشيبة

ونظير صبغ الدجى أبعد عن فاحشة قولي
لانلويه فهو أبعد للريبة عن قرف قاذفه وقرف قروف

ونظيره قولي ولم يزل صبغ الدجى منهما قولي
ومعيري شيب العذار وما درى أن الشباب مطية للفاسق

ولي من قصيدة أولها ليس للقلب في السلو نصيب
ولقد قلت للمليحة والرأس لصبغ المشيب ظلماً خضيب
لا تريه مجانباً للتصابي ليس يدعو صبابة ومشيب

ولي من قصيدة أولها بلغنا ليلة السهب
وطارت الحسناء في رأسي كالشهب
وشيباً كالظبي أبيض وبالنصل للضرب

وحادت عن فقرٍ انا فيه بفقر السرب
تجنيت بلا جرمٍ وعوقبت بلا ذنب
وعاتبت ولكن قل ما ينفعني عتبي

انما قلت وما تصلح للضرب لئلا يفهم من تشبيهي للطاقات البيض من الشيب بالظبى البيض التماثل من كل جهة فاستعيب انهن لا تصلح للضرب كما تصلح السيوف لذلك وإذا كان المقصد ذم الشيب ثم شبه من بعض الوجوه بما له فضل في نفسه فمن الواجب ان يستثنى مما لا يشبهه فيه من الفضيلة ليخلص القول للذم وهذا اذا تؤمل كان له موقعاً لطيفاً من البلاغة ولعمري ان الشعر موضوع على الاختصار والحذف والاشارة ولو قلت وبيضاً كالظبى البيض لما فهم الا التشبيه في اللون دون غيره للمراد اذا امكن التحقيق واستيفاء؟

الاعراض من غير ان يلحق الكلام هجنة فهو أولى

ولي من قطعة

ليس المشيب بذنبٍ فلا تعد به ذنبا
عصيت شرخ شبابي بالليل والصبح عضبا
وشبت شيب عذاري كما اشتهى الدهر شيبا
ان كنت غيرت لوناً فما تبدلت حبا
أو كنت بوعدت جسماً فما تباعدت قلبا
وكلما شاب راسي نمى غرامي وشبا

ولي من قصيدة اولها كتمت من اسماء ما كان علن
راعك يا اسماء مني بارق ضوأ ما بين العذار والذقن
لا تنفري منه ولا تستنكري فهو صباح كالذي كان دجن
نأوا بأي ادرج الدهر به واي ثاوٍ في الليالي ما ظعن
ان بان اخير الحلم فينا والحجى فانه عار المراح والارن

كم حكم ممتلو الاهاب من صبي عن العلى واجلها الهرم اليفن

لست ادري تهجين هذه الابيات بوصف ربما قصر عن ادى حقها فكم موسوم بالعدول عن وسمه وممدوح بالاعراض عن مدحه فاما كع فمعناه عجز يقولون كع عن كذا اذا نكل عنه وعجز والاهاب الجلد واليفن الشيخ الهرم الضعيف

ولي من قطعة مفردة

صدت اسماء عن شيبي فقلت لها لا تنفري فبياض الشيب معهود
عمر الشباب قصير لا بقاء له والعمر في الشيب يا اسما ممدود
قالت طردت عن اللذات قاطبة فقلت اني عن الفحشاء مطرود
ما صدني شيب راسي عن تقى وعلى لكني عن قذى الاخلاق مصدود
لولا بياض الضحى ما نيل مفتقد ولم ينر مطلب يبغى ومقصود
ما عادل الضحى لليل الاضياء به ولا استوت في الليالي البيض والسود

المعهود المألوف لا ننفر منه والشيب معتاد فيمن كبر واسن وانما ننفر مما خالف العادة والبيت الثاني نظيره قول الشاعر

والشيب ان يظهر فان وراءه عمرا يكون خلاله متنفس

لان العمر في البياض اطول منه في السواد وعلى البيت الثالث سؤال كيف يكون الشيب طاردا عن الفحشاء خاصة ومن شانه ان يصد عن كل لذة ومتعة حسنة كانت او قبيحة ٥ والجواب اني اردت ان يصدني عن الفحشاء بوعظه وزجره لا باعجازه ومنعه واني قادر متمكن من مباح اللذات والبيت الرابع يقوي هذا المعنى والبيت الخامس والسادس من احسن ما فضل به البياض الذي هو لون الشيب على السواد

ولي وهي قطعة مفردة

بكت عينا أمامة عن مشيبي وعدت شيب رأسي من ذنوبي
وقالت لو سترت الشيب عني فكم أخفى التستر من عيوب
فقلت لها أجل صحح ودي وكلي عن الشعر الخضيب
ومالك يا أمام مع الليالي إذا طاولن بد من مشيب
وما تلبيس شيب الرأس إلا كتلبيس الوداد على الحبيب
فلا تلحي عليه فذاك داء عياء ظل عن حيل الطبيب
وإن تعبد بشيبك وهو آت نظير بياض مفرقي القريب
وإن تأبى فقومي هيئي لي لصبغك فيه يوما من نصيبي

معنى البيت الثاني أي خالص المودة صحح المحبة فلا أدلس ذلك بتزوير الشعر بالخضاب وتشبيهه بالشباب وقد أفصحت عن هذا في البيت الذي أوله وما تلبيس شيب الرأس والبيت الذي دمي حيل من خضب للغواني معاقبا ليغششهن في وده فقال

قل للمسود حين شيبه هذا عتيق الغواني الهوى إبادا
كذب الغواني في سواد عذاره وكذبنه في وده كذابا

ومعنى البيت الذي أوله وإن بعد شيبك وهو آت أنا سواء في الشيب وأما هو واقع بي ومتوقع فيك فكلانا قريب والبيت الثالث معناه أنك إذا رأيت أننا في الشيب أشكال وأمثال فعرفيني الفرق بيني وبينك فيه وأي أمان لك مما نزل بي وحل عندي وهذا من لطيف التسلية عن الشيب والاحتيال في دفع أحزانه وهمومه والاحتجاج على من عابه من النساء وذمه وهجنه

ولي أيضا وهي قطعة مفردة

أمن شعر في الرأس بدل لونه تبدلت ودا يا أسيما عن ودي
فإن يك هذا الهجر منك أو القلى فليس بياض الرأس يا أسم من عندي
تصدين عمدا والهوى أنت كله وما كان شيء لو تأملت من عمدي

وليس لمن جاوزته ستون حجة من الشيب ان لم يرده الموت مزيد
ولا لوم يوما من تغير صبغتي اذا لم يكن زال التغير في عهدي :

ولي من قطعة مفرده

يقولون لي هل انت للشيب كاره فقلت طريق الموت عند مشيبي
قريب الردى لما تجلل مفرقي ولست بعيدا منه غير قريب
وكنت رطيب الغصن قبل حلوله وغصني من شيبه غير رطيب
ولم يك الا عن مشيب ذوابتي جفا خليلي وازورار حبيبي
وما كنت ذا عيب فقد صرت بعده يخط بابري للغانيات عيوبي
فليس بكاي للشباب وانما بكاي على عمر مضى وحبيب

البيت الاول الذي اوله وما كنت ذا عيب يحتمل ان يكون
المراد به اني بعد المشيب بلا عيب على الحقيقة كما كنت
غير ان الغانيات يتجرمن علي بعد الشيب فينقض الى عيوبا
لست في ويحتمل ان يراد ايضا ان عيوبي كانت مستوره

مغفوره في ظل الشباب فلما قلص عني وانحسر
اظهرت واعلنت لان الشافع لي زال والعاذر لي حال
ومضى هذا المعنى كثيرا

ولي وهي قطعة مفردة في ذم الشيب

بياضك يا لون المشيب سواد وسقمك سقم لا يكاد يعاد
وقد صرت ملوما على الشيب بعدما عمرت وداجيه المشيب
علي من قلوب الغانيات ملالة ولي من صلاح الغانيات فساد
ومالي نصيب منهن وليس لي اذا هن يودن الاحبة زاد
وما الشيب الا توأم الموت للفتى وعيش امرئ بعد المشيب جهاد

ولي في الاعتذار للشيب والتسلية عنه وهي قطعة مفرده

يقول لي انما الستون مقطعة بين الرجال ووصل الخرد الغيد
وما استوى بعض ولت نضارته في الغانيات وغض ناضر العود
فقلت ما الشيب الا لبسة لبست ما اثرت لي في بخل ولا جود

ولا قوافٍ ولا عذرٍ ولا كلفٍ ولا اطالةٍ ولا ايجازٍ موعوزٍ
ان الحفاظ وسُمي فيه لامعةٌ خيرٌ من الغدر لو حسبتُ في سُودي

واذا كنا قد استوفينا غرضنا الذي قصدناه فالواجب
قطع الكتاب هاهنا فقد طال وربما أمل الطول ولعل معيبًا
ان يطعن فيما اوردناه في اثناء كلامنا من نظاير الشعر
بانا ما استوفيناه ولا استقصيناه ونذكر نظاير لم
نذكرها او يعيب بعدولنا عما عدلنا جملةً عن ذكر نظايره
والجواب عن ذلك انا كنا انما وضعناه لذكر
النظاير وانما كان الغرض فيه ما تضمنته خطبة الكتاب
وقد استوفي وما مضى من ذكر نظاير فانه اتفق عرضًا لا غرضًا
ولو قصدنا هذا الفن لاستوفيناه بحسب ما يحضرنا وينتهي اليه
علمنا فان نظاير الشعر لا تحصى كثرةً ومن تعاطى ذكرها
واعتمده فما عليه الا الاجتهاد وايراد ما نالته حفظه او يده

وتصحيحه والله تعالى المامول المرجو للسداد والارشاد
هاديًا الى سننهما ودالًّا على محجتهما وهو حسبنا
ونعم الوكيل وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله الطاهرين
وسلامه

الزيادات

في باب الشيب والشباب

قد كنا اشرنا الى انه متى اتفق في جملة ما نظمته بعد
عمل هذا الكتاب شيء يتضمن وصف الشيب ضممناه اليه
والحقناه به ونحن لذلك فاعلون
ولي من قصيدة اولها توقف في ديار الحي فهي المعالم

وأين الهوى مني وقد شحط الصبى وفارق فودي الشباب المزايل
وقد قلصت عني ذيول شبيبتي وفي الرأس شيب كالثغام شامل
ولي من دموعي غدوة وعشية لبين الشباب الغض كل ووابل
وكيف يزل الشيب أو رجع الصبى وجيب قلوب أو دموع هوامل

ولي من قطعة مفردة وفيها ذكر الشيب

قد كان لي غلس لا يجري من جده فالآن يجري بلا شيء من الغلس
قالوا تسلّ فشيبات الفتى قبس فقلت ذا الوعظ من شرها قبس
ورأى لم أرد منه إنارة شيب ولم يغن أعواني ولا حرسي
يضيء لعد سواد في مطالعه لفاغر من ردى الأيام مفترس
طوى فأني واغتالت أظافره بخصي وذا لي تقويمه شوسى
وصد عني قلوب البيض نافرة وساقني الوتر من نطق الخرس
إذ كان شيبي نقا قبله دنس فقد رضيت بذاك الملبس الدنس
وعاظ طوبى وقالوا الشيب مطهرة وما السواد بشيء من الدنس
ونعم في الشيب منه حسان عمر الله لم يبق سيا سوى النفس النجس

معنى البيت الأول أنه كان لي مشبه بالغلس وهو الشباب لا يمزج شيء من المشبه بالفجر وهو الشيب فانعكس ذلك وصار بياضي بغير سواد ومعنى البيت الثاني أنهم إذا سلوا عن المشيب وعزوا عن مضرته بأنه يشبه القبس الذي المنفعة به ظاهرة فمن أحسن جواب عن هذه التسلية أن يصدقوا في شبهه به هيئة وصبغة ومخالفته له في الفائدة والعائدة باطنًا والقبس أيضًا الذي يشبه الشيب به قد يستضر في حال كما ينتفع به في أخرى فقولي ولكن شرها قبس كاف في الجواب وإنما قلت ذاك ولم أقل ذا كم والخطاب لجماعة استثقالا للفظة الجمع في هذا الموضع واستخفافًا لخطاب الواحد وقد يجوز أن يقول المخاطب بالجواب على بعض من خاطبه دون بعض إما لتقدمه و جاهته

في نسخة يشبهه ظاهره ومخالفه

ولفضل علمه وفرط فطنته وذو الكلام الفصيح هذا
نظائر كثيرة يطول ذكرها فإن استحسن واستخف
راو أن يقول ذاكر معاني ذلك فليروه كذلك فلا فرق
بين الأمرين وأما البيت الثالث فمعناه أن الأعوان والحراس
من بنيهم لا يدعوا زيارة من تلزمه زيارته ويحنوا مقاربته
والشيب من الزائرين الوافدين الذي في دفعه ومنعه أعوان
ولا حراس ٥ ومعنى البيت الرابع نظير قولي وقد تقدم
ولاح لمفرقي قبس منير يدل على مقاتلي المنون
وقول أخي رحمه الله وقد تقدم أيضا
تعشوا إلى ضوء المشيب فتهتدي وتضل في ليل الشباب الغابر
وقول ابن الرومي فلما أضاء الشيب شخصي رمانيا
ومعنى قولي في البيت الخامس طوى قالبي أنه حنى قامتي
فإن الكبر يفعل ذلك والنحض اللحم ولا شبهة في أن الكبر

تعرق اللحم من الجسد فأما الشوس فهو رفع الرأس
تكبرا وتجبرا يقال رجل أشوس ورجال شوس فأردت
أن الشيب يمنع من التكبر ويقعد عن التجبر ويورث
الخشوع والاستكانة والخضوع ٥ وقولي في البيت
السادس وساقني اليوم من نطقي إلى خرس
يجوز أن يكون المراد به أني كللت عن الحجة وعجزت عن استيفاء
الخطاب لضعف الكبر وعجز الهرم فكأني خرست
بعد نطقي ٥ ويجوز أن يراد أيضا أني أمسكت عن الكلام
وأسكت عن الجواب مع قدرة عليه علما باستنزال
كلامي واستضعاف خطابي فإن الكبير لا يؤمن له ولا
يصغى إليه ٥ والبيت السابع مستوفى المعنى وكذلك
الثامن فأما البيت الأخير فإن غاية ما يمدح به الشيب
ويفضله أن يقال إن العمر فيه ممتد مزيد على العمر في الشباب

فحاشى سلمت هذا الذي يدعى به الفضيله والمزيه
وقلت اذا ان المشيب لم يدع شيا سوى النفس الزوال
على وجود ذا الحيوة مجردة من كل انتفاع والتذاذ وبلوغ
ارب ووطر فاي فايدة في طول عمر بلا منفعة ولا لذة
ولا متعة وانما يراد تطاول العمر لزيادة الانتفاع وطول
الاستمتاع ولي في مثل ذلك وهي قطعة مفردة

لا تنظري اليوم يا سلمى الى ما ابقى المشيب بوجهي نضرة البشر
جنى علي فقولي كيف اصنع في جان اذا كان يجني غير معتذر
عرا فاعرى من الاوطار قاطبة قهرا والبسني ما لبس من وطر
وقد حذرت ولكن رب مقترب لم انج منه وان حاذرت بالحذر
فان سلوت الى قوم مساكنهم ظل السلامة ادوني الى العذر
كوني كما شئت في طول وفي قصر فلست ايام شيب الراس من عمري
فقل لمن ظل يسلي عن مصيبته لا سلوة لي عن سمعي عن بصري

شر العقوبة يا سلمى على رجل عقوبة من صروف الدهر في الشعر
ان كان طال له عمر فشيبه فكل طول عداه الفضل كالقصر
يلين منه ويرجى من معاجمه كرها ولو كان منحوتا من الحجر
فان يكن وخطات الشيب في شعري بيضا فكم من بياض لبس للغرر
ما طل اشراقة للصبح في غلس ولبس كل ضياء من سنا القمر

معنى قولي وكل طول عداه الفضل كالقصر ان طول
الزمان انما يحمد ويطلب اذا اجلب نفعا واثمر فايدة فيه اذ لو كان
بالضد من ذلك فهو كالقصير من الزمان في عدم الانتفاع
بطوله ومعنى فكم من بياض لبس للغرر اي لا
تغروني عن الشيب بياض لونه واشراقه فليس كل بياض
محمودا وان كان بياض الغرر ممدوحا ومعنى البيت
الثاني هو هذا بعينه موكدا للاول وموضحا عنه
ولي من قطعة مفردة

قالت مشيبك فجرٌ والشباب اذا زرناك ظلمة ليلٍ فيه مستتر

فقلت من كان يجري الدهر عادته ما ان له لصبا الشيب معتذر

لا تسخطيه فهذا الشيب مظهره على عيوبٍ بغير الشيب تستتر

ترين مني وضوء الشيب يفضحني ما زاغ عنه وراسي اسود الشعر

معنى البيت الاول كانه غريب والجواب عن الاعتذار
المستحل للهجر صحيح لان من كان لا يلم بزيارةٍ ولا يهم بلقاءٍ
سواءٌ عليه ضياءٌ اظهره او سوادٌ ستره والبيتان
الاخيران يلعبان في المعنى المقصود بهما وتقريب
الشيب من قلوب من يطلب العيوب ويؤثر الظهور
على العيوب بانه تظهر مكتومها ويبرز مستورها
من لطف المكايد واغمضها

ولي من قطعةٍ مفردةٍ

نضوت ثياب الهوى عني فقلصت وشيبني قبل المشيب هموم

وقد كنت في ظل الشباب بنعمةٍ واي نعيمٍ للرجال يدوم

وقد علم الاقوام انا لقلما لطوا ان ضحينا في المشيب سقيم

وان عنيا في الهوى ونزيله المشيب ففي الراجين عد لم

معنى قولي وشيبني قبل المشيب هموم قبل اوان المشيب
وابانه والوقت الذي جرت العادة بنزوله لا يجوز حمل
الكلام الا على ذلك في حكم الضرورة لان ما شيب من
الهموم فالشيب لا محالة معه مكتنف لون قلبه لولا
الحرف الذي اشرنا اليه ولي هي قطعة مفردة

صد عني واعرضا اذ راى الراس ابيضا
ونضا عني الغضاضة واللهو ما نضا
واسترد الزمان مني ما كان اقرضا
ورماني بشيب راسي ظلماً فاعرضا
واستحال الطبيب لي من سقامي فامرضا

ومحب عهدته صار بالشيب مبغضا
كان يدعوني فلم يدع شيب راسي له رضا
قال لي مفصحا وما كان الا معرضا
ابن شرخ الشباب قلت حياة تقوضا
او منام رأوا في الصباح النبا وقد مضا

ولي من قطعه وهي مفرده

صد عني كان لها قربي وان كان جبليا
ورأى في الفاحم الجعد من الراس مشيبا
كشهاب غاب للشهب ويأبى ان يغيبا
او كنار تخمد النار وتزداد لهيبا
كنت عريانا بلا عيب فاهدى لي العيوبا
قلت ما اذنبت بالشيب اليكم فاتوبا
هو داء حل جسمي لم اجد منه طبيبا

لم يجد ذنبا ولذلك لفقت ذنوبا

يحتمل البيت الخامس الذي اوله كنت عريانا بلا عيب وجوها من التأويل اولها المراد اني كنت بلا عيب فصار لي من الشيب نفسه عيب لان النسا يعيرنه ويتفرن منه وثانيهما ان يكون المراد ان الشباب كان ساترا لعيوب فيّ كانت مغفورة لي لاجله فلما نزل الشيب اذلعت في ولعبت على د وثالثها انه لم يكن في عيب فلما نزل الشيب تخيلت لي عيوب علقت علي ونسبت الي فان ذا الشيب ابدا معيب من النساء متجرم عليه

ولي من قطعة وهي مفرده

لا تطلبي مني الشباب فما عندي شباب والشيب قد وفدا
ابن شبابي وقد انفقت على الشيب سنا وجزتها عددا
ممن لقي عندي الشبابة واللهو ولعض النشاط ما وجدا

وقد مضى من يدي وفارقني فلا اراه يراجع ابدا

ولي من قطعة مفردة

صدت وما كان الذي صدها الا طلوع الشعر الاشهب
زار وكم من زائر للفتى حل بواديه ولم يطلب
ركبته كرها ومن ذا الذي اركبه الدهر فلم يركب
كانه نار لباغي القرى اضرمها القوم على مرقب
او كوكب لاح على افقه لناظر يلمع في غيهب
لجمي وقد اصبح جارا له زادي ودمعي وجده مشربي
واني فيه ومن اجله معاقب القلب ولم اذنب
وليس لي حظ وان كنت من اهل الهوى في قنص الربرب
وما راينا قبله زائرا جاء الينا ثم لم يذهب

معنى البيت الذي اوله لجمي وقد اصبح جارا له ان صاحب الشيب اذا كان على الاكثر ينقص جسمه

ويهزل جسمه ولعرق الشيب لعضاه فكان ذا المشيب يزود لحمه فهو يفنى على الايام ويحتمل وجها اخر وهو ان ذا الشيب حسرة على شبابه وحزنا على حلول مشيبه يعض كفه وانامله كما يفعل المغيظ المهموم وجعل ذلك العض تزودا ك واما با على سبيل المجاز والبيت الاخر معناه ان من شان كل زائر لغيره ان يجوز الضافة عنه ومفارقته له وذلك المرور حتى ياتي الا الشيب فانه اذا زار لم يذهب الا بذهاب الحيوة وفقدها

ولي من قطعة مفردة

لا تسلني عن المشيب فقد حل براسي كرها جفاى العمائم
ليس للهو والصبابة واللذات في ربع المشيب مقام
ما حل الشيب في المفارق الا عنت الغانيات في الايام

هو نقص عند الحسان كما ان شبابا ما كان شيب تمام
وسقام وما اسنوت لك ديل اما نبك صحة وسقام
ومتى رقت عرجة عنه قالت لي التجارب رقتها لا بوام

ولي وهي قطعة مفردة

تقول لي وما اقبها مطعجة من ذا ابان على صبغ الدجى فلبسا
من ذا الذي غل من فوديك لونهما وسل حسنك فيما سل او خلسا
مالي اراك ونور الدر منكسف في جنبيك وحظ منهما طمسا
كانما انت في ظل ساكنة او منزل عطل من اهله درسا
ما ضر شيبا وقد ولى بمنظره تعدى النواظر او ابطا او احتبسا
اما علمت بانا معشر جزع على الصباح دعوى دونه الغلسا
فقلت ما انت من شي يضيق به ذرعي وان ساء مني القلب محترسا
وما الشبيبة الا لبسة نزعت بليت منها فلا تستنكري اللبسا
وفي الذي تعرفين من خلق فما ابالي اقام الشيب ام طلبسا

لا تطلبي اللهو مني والمشيب على راسي حال فعود اللهو قد يبسا
ولا تروعي الذي عودته من طوعك كل ما الان من قلبي العداه قسا

ولي وهي قطعة مفردة

هبيه نهار العدليل وروضة تضاحك فيها النور وهي قطوب
ولا تطلبي شرخ الشباب وقد مضى فتلك شي ما اراه يؤوب

اما وصف ما انه خص زهره ونواره من الروض بالقطوب فمن واقع التشبيه وغريبه لانه اذا شبه بالزهر فيها ونورها الضاحك كان يسمى اسمه على اخضراره واسوداده بانه قاطب لعقد النور المشبه بال[illegible] منه

ولي وهي قطعة مفردة

تلوم وقد لاحت طوالع شيبتي وما كنت منها قبل ذاك مفندا
فحسبك من لومي والا فبعضه فما ابيض الا بعض ما كان اسودا
ولا تلزميني اللوم عيبا لصبغة ستكتسبينها ان لبثت لها غدا

ولو خلدت لي حالة مع تولع الليالي بأحوالي لكنت المخلدا
ولو لم أشب أو ينقضي بي لسنت على الأيام بسرا وفرقدا
وإن المشيب أوديه مني حفيرة أبيت بها صفرا من الناس مفردا
أوسد بالصفاح لا من كرامة وأي غني وسدتها أن أوسدا
فلا تفرحي يا نفس يوما من الردى فما أنت إلا في طريق إلى الردى

البيت الثاني لطيف المعنى لأن من لام وقد وعنف على مشيب لا صنع للشباب في نزوله ولا حيلة له في دفع حلوله يجب أن يستوقف عن لومه إن أنصف فإن أبى إلا الظلم فلا أقل من أن يقتصر على بعض اللوم ولا ينتهي إلى غايته لأن الشعر الذي خف بياضه إنما ابيض بعضه ولم يسر ذلك إلى كله فسبب اللوم إذا لم ينته إلى الغاية فاللوم لا يجب أن ينتهي إليها   ولي وهي قطعة مفردة

تضاحكت لما رأتنا المشيب ولم أر في ذا الدهر ما يضحك

وما زال دفع مشيب العذار لا يستطاع ولا يملك
وقال لي الدهر لما لقيته أما المشيب أو المهلك
فقولي وأنت تعنتني لأي طريقهما أسلك

ألطف ما هون به نزول المشيب وأفواه سنيه أنه فداء المنية وبدل من الهلكة وقد تقدم في شعري نظائر لذلك كثيرة من استقراها وجدها

ولي من جملة قطعة مفردة

يا أسماء إن صبابتي بك لو أوتيت لها طويله
وأطلتي بذنوب شيب لم يكن لي فيه حيله
نزلت سوائي خطة منه أحاذرها نزيله
وقضى الشباب وليته لما قضى لم يقض عيله
كان الشباب وسيلتي فالآن ما لي من وسيله

ولي وهي قطعة مفردة

تقاسم الليل والإصباح بينهما عمري فمن حاصدي طورا ومن زرعي
أعطى نهاري وليلي شبه صبغهما فنسلخ بدي الزنجي الفحمي خلعي
لليل سودي وللصبح المنير إذا جلاه شيبي فلومي فيه أو فدعي
نوبة الليل قد ولت كما نزلت ونوبة الصبح من هذا المشيب معي

هذه الأبيات متضمنة لمعنى غريب لأن هذا التقسيم والتوزيع على الليل والنهار من الشيب والشباب شبههما ونظيرهما ما وجدته إلى الآن على هذا الترتيب في شيء من الشعر المأثور ولي وهي قطعة مفردة

إن عاقب الشيب السواد لمفرقي فالليل يتلوه الصباح الواضح
من لحظاته وقد رمت قوس الردى سيضر منه مفارق ومسالح
لو كان لليل البهيم فضيلة لم يدن منه مقابس ومصابح
البيض للعينين وجه ضاحك والسود للعينين وجه كالح
وأشد من جذع الجياد إذا جرت جريا وأصبرهن نهد قارح

والبزل تغتال الطريق سليمة وعلى الطروق من البكار طلائح

قد جمعت هذه الأبيات مع الاعتذار للشيب والتسلية عنه من غريب بديع غير متبذل ولا معروف معهود كأنه لحسن موقعه وعذوبة لفظه غير معروف ولا معهود وإنما تمثل لذلك حلم عمرك فيه ومعنى البيت الثالث هو الذي ليس بمطروق وإن دل على أن السواد البهيم ليس بفضيلة والاستضاءة فيه بالمقابس والمصابح وهذا تعلل وتمحل وإن كان من مليح ما تمحل لأن الليل لا تتم الأغراض فيه إلا بالمصابيح ليهتدى بها في سواده والأوطار فيه غير مبلوغة وليس هذا في سواد الشباب وبياض الشيب ومن ذم من الشعراء بذممه لأنه فضل البياض على السواد على الإطلاق تنقض عليه ذلك

مصابيح الليل وإنما ذممته لأن الأوطار التي تنال بالشباب
المحمودة كلها تفقد معه فلذلك المذموم هو فقد سواد
تدرك به الأغراض وتنال معه الأوطار دون ما لبس
هذه صفته وهذا التحقيق مطرح في الشعر
ويكفي المتأخر إذا عيب شيب شعره وفضل سواده
على بياضه أن يعتذر في ذلك بما ذكرناه في البيت
فأما البيت الرابع فمعناه أيضا كالبديع الغريب

ويشبهه ما مضى من قولي

تضاحك فيها النور وهي قطوب   فإن العطوف للملوح

ولي من قطعة مفردة

تصدين عني للمشيب كأنني صرفت شبابي أو دعوت مشيبي
وتفني سلوي عن حبيب إذا مضى فلا متعة لي بعده بحبيب
كأني نأى بعده عن أهل وواد جفاه القطر عن خصيب

فأواه من فقد الشباب وأي لمؤاد من فقده [illegible]
[illegible] الزيادات التي كنا قد أشرنا إليها
والحمد لله وحده والصلاة والسلام على
من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وسلم

بمصابيح الليل وإنما ذممته لأن الأوطار التي تنال بالشباب
المحمودة كلها تفقد معه فكأن المذموم هو فقد سواد
تدرك به الأغراض وتنال معه الأوطار دون ما ليس
هذه صفته وهذا التحقيق مطرح في الشعر
ويكفي الشاعر إذا عيب شانئ شعره وفضل سواده
على بياضه أن يعتذر في ذلك بما ذكرناه في البيت
فأما البيت الرابع فمعناه أيضا كالبديع الغريب

ويشبهه ما مضى من قولي

تضاحك فيها النور وهي قطوب   فإن القطوب للملوح

ولي من قطعة مفردة

تصدين عني للمشيب كأنني صرفت شبابي أو دعوت مشيبي
وتبغين سلوى عن حبيب إذا مضى فلا متعة في بعده لحبيب
كأنك تبغي بعده غير أهله ووادٍ جفاه القطر غير خصيب

فواها من فقد الشباب وإني أضداد من فقديه [illegible]
[illegible] الزيادات التي كنا قد أشرنا إليها
والحمد لله وحده والصلاة والسلام على
من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وسلم

مصابيح الليل واما دمنة لان الاوطار الرسائل السنا
المحموده كلها تفقد معه فدل المذموم هو فقد سواه
ندرك به الاغراض وينال معه الاوطار [illegible]
هذه صفته وهذا المحسوط [illegible]
وعلى الفناء [illegible] واغت [illegible]
[illegible] العد [illegible]

١٣

فاواه من فقد الشباب واني لفقده من فقد به
اكثر الزيادات التي كنا قد اشرنا الى
[illegible]